النزاع والتخاصم

فيما

بين بني أمية وبني هاشم

تأليف

تقى الدين المقريزى

٧٦٦ - ٨٤٥ هـ

إعداد وتعليق

صالح الوردانى

الهدف

للإعلام والنشر

اسم الكتاب: النزاع والتخاصم

المؤلف: تقى الدين المقريزى

الناشر: الهدف للاعلام

رقم الإيداع: ٩٩/١١٥٦٠

الترقيم الدولى: **977-5751-15-2**

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتعريف

كتاب النّزاع والتخاصم للمقريزى، هو الكتاب الذى نقدمه للقراء الكرام، نظرًا لأهميته التاريخية، وقيمته الدينية. فمؤلفه هو:

احمد بن على بن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم بن تميم بن عبدالصمد بن أبى الحسن بن عبدالصمد بن تميم التقى بن العلاء بن المحيوى الحسينى العبيدى البلعلبكى الأصل، القاهرى المولد، أبو العباس، المعروف بالمقريزى نسبة لحارة فى بعلبك، تعرف بحارة المقارزة.

انتقلت عائلة المقريزى إلى القاهرة من بعلبك فى حياة أبيه على بن عبدالقادر، الذى أشغل بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء، ثم بالكتابة فى ديوان الإنشاء بالعاصمة.

ولد أبو العباس المقريزى على الأرجح سنة ٧٦٦هـ، فقد ذكر السخاوى بأن: «مولده حسبما كان يخبر به، ويكتبه بخطه بعد الستين» وقال السخاوى: «قال شيخنا ابن حجر إنه راى بخطه مايدل على تعيينه فى سنة ٧٦٦هـ، وذلك بالقاهرة[١]».

وإلى هذا ذهب كل من ابن العماد الحنبلى، والشوكانى[٢] حيث أيَّد السخاوى فى رايه بأنّه ولد عام ٧٦٦هـ.

----

(١) الضوء اللامع: ٢١/٢.

(٢) شذرات الذهب: ٢٥٤/٧، والبدر الطالع: ٢٩/١.

ويرى ابن تغرى بردى، وعلى مبارك: بأنّه ولد بعد سنة ستين وسبعمائة بسنوات[٣].

وهناك من يذهب إلى انّه هو نفسه قد ذكر بأنّ ولادته بعد سنة ستين وسبعمائة[٤]، ولقد كانت ولادته فى القاهرة، ونشأ بها، فقد تكفل تعليمه الابتدائى، وحفّظه القرآن جده لأمه شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن على الحنفى، المعروف بسبط ابن الصائغ.

ثم انكب على الدرس والتحصيل بإشراف مجموعة من فضلاء عصره بحيث أظهر فى صغره مقدرة كافية لتكوين شخصيته، حتى كان موضع عناية أساتذة العصر.

وما أن وصل إلى عتبة العشرين من عمره، أو جاوزها بقليل حتى كانت له الأهلية التامة لأن يطوف على صفوة أعلام زمانه، ويلتقى بكبارهم ويجالس ائمتهم، وينتهل من نميرهم العلمى والأدبى.

ولقد ذكرت لنا بعض المصادر جملة ممن اخذ منهم تحصيله العلمى وكذلك عددًا ممن استجازهم، وفى مقدمة اولئك:

الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن عبدالواحد النسائى المتوفى عام ٨٠٠هـ، والحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان الهيثمى الشافعى المتوفى ٨٠٧هـ. كما له اجازة من بهاء الدين أبى البقاء احمد بن على السبكى وشهاب الدين احمد بن حمدان بن أحمد الأذرعى الشافعى وغيرهما.

---

(٣) المنهل الصافى: ١/٣٩٤، والخطط التوفيقية: ٩/٦٩.

(٤) مقدمة النزاع والتخاصم طبعة النجف ١٣٦٨هـ.

وقال السخاوى: «وإن شيوخه بلغت ستمائة نفس[٥]» وتمكن المقريزى من تكوين شخصيته العلمية والأدبية، وبدأ نجمه يلمع فى أوساط القاهرة، كفاضل لا يستغنى عنه، وأديب استطاع أن يوجه إليه الأنظار، ومؤرخ واسع الاطلاع بحيث جلب إليه الانتباه.

ومن اجل طلب العلم رحل إلى مكة مرَّتين، وظل مقيمًا بها فى المرَّة الثانية حتى سنة ٨٣٩هـ، كما سافر إلى الشام، واتصل بعدد من الأعلام وامضى بقية حياته بعد ذلك فى القاهرة منصرفا إلى الدراسة العميقة والتاليف فى مختلف علوم عصره، وكان من المكثرين المجيدين[٦].

ولقد جمع إلى جانب معلوماته العلمية والتاريخية والأدبية، خبرة واسعة بالاصطرلاب والرمل، وامثالها[٧].

واستمر مع الأيام يرتفع فيها صيته، ويشتهر ذكره، حتى أصبح علمًا من الأعلام وشاخصًا فى المؤرخين، معظمًا فى الدول، تضرب به الأمثال[٨].

لكنَّ المقريزى اتجه باهتمامه الكبير نحو التاريخ، فقد كان مغرًى به، معنيًا بتحقيقه والتاليف فيه، وتدوين نوادره، حتى وصفته المصادر بأنَّه: «عرف منه جزءً كبيرًا معرفة تامة وحفظ منه كثيرًا عن ظهر قلب».

---

(٥) الضوء اللامع: ٢١-٢/٢٤

(٦) دراسة عن المقريزى فى مجلة الرسالة المصرية، ص١-ع١٩ ص١٦.

(٧) الضوء اللامع: ٢/٢٣.

(٨) شذرات الذهب: ٢/٢٥٤.

وقـال ابن تغـرى بردى - وهو من مـؤرخى مـصـر المعـروفين -: «وفى الجـملة هو (المقريزى) اعظم من رايناه فى علم التاريخ وضروبه، مع معرفتى لمن عاصره من علماء المؤرخين، والفرق بينهم ظاهر[٩]».

ورغم مـا اكده العلمـاء، وكتّـاب التـاريخ بأنّ المقريزى من الطراز الأول فى تدوين التاريخ ووفرة الاطلاع فيه، فإنّ المقريزى نفسه اكد لنا ايضًا بأنّه ضرب فى باقى انواع المعرفة قدحه وشارك فى اكثر من نوع واحد من انواع المعرفة فلقد سجل لنا ثبت مؤلفاته انّه ترك للمكتبة الإسلامية العربية مؤلفًا فى علم الكلام، والعقائد والتوحيد، وآخر فى الحديث، وثالثًا فى السكة، والأوزان والمقاييس، كما كتب فى المعادن، والطب والموسيقى وغير ذلك من العلوم التى تتعلق بحياة المجتمع، بحيث بلغت مؤلفاته مايزيد على المائة مجلد.

وبعد هذا فهو شاعر مجيد وإن لم تسجل لنا المصادر نماذج كثيرة من شعره، غير انّ السخاوى نقل عن شيخه بأنّ له نظمًا فائقًا، وشعرًا زائقًا، ومما قاله فى وصف دمياط:

سقى عهد دمياط وحيا من عهد ... فقد زادنى ذكراه وجدًا على وجد
ولا زالت الأنواء تسقى سحابها ... ديارًا حكت من حسنها جنة الخلد
فيا حسن هاتيك الديار وطيبها ... فكم قد حوت حسنًا يجل عن العد
فلله أنهار تحف بروضها ... لكالمرهف المصقول او صفحة الخد
وبشنينها الريان يحكى متيّمًا ... تبدّل من وصل الأحبة بالصد
فقام على رجليه فى الدمع غارقًا ... يراعى نجوم الليل من وحشة الفقد

---

(٩) مجلة الرسالة: س١، ع١٩، ص١٧.

وظـل علـى الأقـدام تحـسـب انـه — لطول انتظار من حـبـيب على وعـد
ولا سيمـا تلـك النواعيـر إنّهـا — تجـدد حـزن الواله المدنف الفـرد
اطارحـهـا شـجـوى وصارت كـأنما — تـطـارح شـكـواهـا بمـثـل الـذى أبـدى
فقد خلتها الأفلاك فيها نجومها — تدور بمحض النفع منها وبالسعد
وفـى البـرك الغراء يا حـسـن نوفـر — حـلا وغـدا بالزهـو يسطو على الورد
سـمـاء مـن البلـور فيهـا كـواكـب — عجيبة صبغ اللون محكمة النضد
وفـى شـاطئ النيل المقـدّس نزهـة — تعيد شباب الشيب فى عيشه الرغد
وتنشـى رياحًـا تطـرد الهـم والأسـى — وتنشى ليالى الوصل من سيبها عندى
وفـى مـرج البـحريـن جـم عجائـب — تلوح وتبـدو من قـريب ومن بعـد
كـأنّ التـقـاء النيـل بالبـحـر إذ غـدا — مليكان ثارا فى الجـحـافل من جند
وقـد نـزلا للحـرب، واحـتـدم اللقـا — ولا طعن إلا بالمثـقـفـة الملد
فظـلا كما باتا وما برحا كما هما — من جليل الخطب فى أعظم الجـهـد
فكم قـد مـضـى لى من افـانين لـذة — بشاطئها العذب الشهى لـذى الورد
وكـم قـد نعـمنا فـى البسـاتين برهة — بعـيـش هنىء فـى أمـان وفـى سـعـد
وفـى البـرزخ المأنـوس كـم لـى خـلـوة — وعند شطا عن أيمن العلم الفـرد
هنـاك تـرى عـين البـصـيـرة مـا تـرى — من الفضل والإفضال والخير وا لمجد
فـيـارب هيّـئ لـى بفـضلك عـودة — ومنّ بها فى غير بلوى ولا جهد[١٠]

هذه هى المقطوعة الشعرية الوحيدة التى إشارت لها المصادر الأدبية وذكرها هو فى إحدى مؤلفاته[١١].

وإذا حاولنا أن ندرس جوانب اخرى من سماته الشخصية، غير الناحية العلمية

---

(١٠) الخطط المقريزية، ١/٣٦٢.

(١١) المنهل الصافى، ١/٣٩٩ هامش ١.

والأدبية، فقد اجمع معاصروه على انه كان رجلا فاضلا دينا، مجدا، امينا فى عمله، على جانب عظيم من حسن الخلق، وكرم العهد، وكثرة التواضع، وعلوّ الهمة لمن يقصده، والمحبة فى المذاكرة وحسن الصلات، ومزيد الطمانينة، والملازمة لسنة، محمود السيرة فى مباشراته، وقد لخص ابن حجر هذا كله بقوله: «وكان حسن الصحبة حلو المحاضرة[١٢]».

وختمت بعض المصادر حديثها عنه بقولها: «قد انقطع فى داره ملازمًا للخلوة، والعبادة، قلَّ أن يتردد على احد إلا لضرورة[١٣]».

وبالنسبة لمذهبه فتؤكد لنا المصادر بأنّه انحدر من اب حنبلى وأنَّ جده لأبيه كان فقيهًا حنبليًا، وحجة فى الحديث، اما جده لأمّه - وهو ابن الصائغ - فقد كان فقيهًا حنفيًا.

ولكنَّ المقريزى تفقه فى شبابه على المذهب الحنفى تبعًا لجده لأمه وحفظ مختصرًا فيه ثم لما ترعرع - وذلك بعد وفاة والده فى سنة ٧٨٦هـ وهو حينئذ قد جاوز العشرين تحوّل شافعيًا، واستقر عليه امره، ولكنّه كان مائلاً إلى المذهب الظاهرى، ولذلك قال السخاوى: «وقال شيخنا - ويقصد ابن حجر - انّه احب الحديث فواظب على ذلك، وحتى كان يتهم بمذهب ابن حزم، ولكنّه كان لا يعرفه[١٤]».

ويقول ابن العماد: «وكان كثير التعصب على السادة الحنفية وغيرهم، لميله إلى --

----

(١٢) الضوء اللامع: ٢/٢٤.

(١٣) نفس المصدر المتقدم.

(١٤) الضوء اللامع: ٢/٢٢.

المذهب الظاهر[١٥]».

وقال ابن تغرى بردى فى هذا الصدد: «وتفقه على مذهب الحنفية وهو مذهب جده لأمه، ثم تحول شافعيًا بعد مدة طويلة لسبب من الأسباب ذكره لى[١٦]».

اما المصادر الحديثة فيقول الدكتور محمد مصطفى زيادة: «وكفل تعليم الصبى جده لأمه فاخذ بتنشئته على اصول المذهب الحنفى، ولما مات أبوه عام ٧٨٦هـ ترك المذهب وانتقل إلى الشافعية، ودرس الفقه دراسة واسعة، واخذ بعدئذ يهاجم الحنفية فى عنف استجلب لوم معاصريه له[١٧]».

واكاد اطمئن بأنّ المقريزى قد انتهى إلى الشافعية لأمرين:

اولا: لذهاب أغلب المؤرّخين والباحثين إلى القول بكونه شافعى المذهب.

ثانيًا: لعدم تحامله على آل البيت عليهم السلام، وحبه لهم وإنّ المتتبع لمؤلفاته يرى انّه لم يحاول المساس بهم بما يشين كرامتهم، وتكاد تكون هذه طبيعة عامة الشافعيين إلا ما شذ.

وبعد هذا كله، فلقد ملك المقريزى كل المقومات العلمية والأدبية والاجتماعية التى اهلته لأن ينال لدى المسؤولين مكانة كبيرة، وعناية خاصة، وكان من الطبيعى ان تحتضن دار الإنشاء فى القاهرة هذه الشخصية، ولما أبدى فيها الكفاءة والمقدرة الفائقة تنقل بعد ذلك فى عدة مناصب كبيرة فى الدولة، وكان فى خلالها مثال الموظف المستقيم

---

(١٥) شذرات الذهب: ٢/ ٢٥٥.

(١٦) المنهل الصافى: ١/٣٩٤.

(١٧) المؤرخون فى مصر: مجلة الثقافة س١، ع١٩، ص١٥.

يحب الخير ويعمل من اجله، ويؤدى واجبه كموظف يرى خير ما يجب عليه أن يقوم بما التزم به بكفاءة وقابلية.

ولقد بقى كاتبًا فى ديوان الإنشاء حتى سنة ٧٩٠هـ، ثم غدا بعد فترة قليلة نائبًا من نواب الحكم عند قاضى القضاة الشافعى، ثم إمامًا لجامع الحاكم، ومدرّسًا للحديث بالمدرسة المؤيدية.

وفى سنة ٨٠١هـ اختاره السلطان برقوق - وكان حفيًا به مشجعًا إياه - لوظيفة محتسب القاهرة، والوجه البحرى - وهى من مناصب القضاء الهامة يومئذ - ثم بعد فترة من الزمن عزل عنها، وعاد لتوليتها بعدئذ فى أيام الدودار الكبير سودون، ابن اخت الظاهر.

وفى سنة ٨١١هـ انتقل المقريزى إلى دمشق ليتولى النظر على أوقاف القلانسية والمارستان السورى، والتدريس فى مدرستى الأشرفية، والاقبالية بمادة الحديث، ثم لم يلبث أن اختاره السلطان فرج بن برقوق لأن يكون قاضيًا بدمشق، ثم تنقّل بعدها فى عدة مناصب، وطال به المكث فى دمشق، فقد كانت إقامته فيها ما يقارب عشر سنوات، يتولى فيها مختلف المناصب.

واثّر فى نفسه عامل السّأم من الوظائف الحكومية، لذا فقد طلب من المسؤولين اعفاءه عن كل منصب، واستجابت الحكومة لطلبه. فترك دمشق واعمالها، وعاد إلى القاهرة ليتفرّغ إلى البحث والكتابة(١٨).

---

(١٨) راجع فى هذا الصدد المصادر التالية، الضوء اللامع، ٢/٢٢، والمنهل الصافى، ١/٣٩٩، ومصر الإسلامية، ٤٥، المؤرخون فى مصر مجلة الثقافة، س١. ع١٩. ص١٥.

وهنالك ظاهرة فى حياة المقريزى جديرة بالعناية والاهتمام، تلك هى تعصّبه لوطنه وتكريس جهوده له، والتغنى فى محاسنه، وكل ذلك «ينم عن الحب العميق الذى كان يملأ جوانح المؤرخ نحو وطنه، ومسقط راسه، وعما كان يحدوه من شغف الوفاء بتخليد آثار هذا الوطن وتدوين محاسنه وسعاداته، ورثاء مصائبه ومحنه[١٩]».

ولقد كرس جزءًا كبيرًا من مؤلفاته فى التحدث عن مصر، وقد طغت هذه الظاهرة عليه حتى عبَّر عنها نفسه فقال فى مقدمة خططه: «وكانت مصر مسقط راسى، وملعب أترابى ومجمع ناسى، ومغنى عشيرتى وحامتى، وموطن خاصتى وعامتى، وجؤ جؤى الذى ربى جناحى فى وكره وعش مأربى، فلا تهوى الأنفس غير ذكره، لا زلت مذ شذوت العلم وآتانى ربى الفطانة والفهم، ارغب فى معرفة أخبارها، واحب الإشراف على الإغتراب من آبارها، وأهوى مسألة الركبان عن سكان ديارها فقيَّدت بخطى فى الأعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قلَّ ما يجمعها كتاب...الخ[٢٠]».

وهكذا كان، فلو القينا نظرة على ثبت مؤلفاته، راينا انَّه خص مصرواخبارها بقسط وافر من مجهوده، ضمنها تاريخ مصر، والدول التى تعاقبت عليها، وعلى سبيل المثال نذكر ما توصلنا إليه فى هذا الصدد:

١- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار: ويعرف «بخطط المقريزى» ويقع الكتاب فى اربعة أجزاء، ويشتمل على تاريخ مصر بصورة مفصلة وقد طبع عدة طبعات.

٢- السلوك لمعرفة دول الملوك: وهو تاريخ مصر من سنة ٥٧٧ إلى سنة ٨٤٤هـ،

---

(١٩) مصر الإسلامية: ٤٦.

(٢٠) الخطط المقريزية: ٢-٣/١.

قال جرجى زيدان: «ذكر فيه انَّه لما اكمل كتاب «عقد جواهر الأسفاط» وكتاب «اتعاظ الحنفا» وهما يشتملان على من ملك مصر من الأمراء والخلفاء، وما كان فى أيامهم من الحوادث منذ فتحت إلى ان زالت دولة الفاطميين، اراد ان يصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم، من الأكراد، والأتراك، والجراكسة، غير مقيَّد فيه بالتراجم والوفيات، فالف هذا الكتاب، رتبه على السنين بذكر حوادث السنة، ثم يترجم من مات فيها من الأعيان ترجمة مختصرة، وإنما يطيل فى الحوادث(٢١)».

نشر هذا الكتاب الدكتور محمد مصطفى زيادة فى عدة أجزاء فى القاهرة.

٣- المقفى أو التاريخ الكبير: وصف فيه معيشة الأمراء والمشاهير الذين اقاموا بمصر رتَّبه على الحروف الأبجدية، وقدر انه يستغرق ثمانين مجلدًا لم يظهر منه إلا ١٦ مجلدًا، منها ثلاثة مجلدات فى ليدن، ومجلد فى باريس كلها بخط المؤلف.

٤- درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة: وهو معجم لتراجم الأعيان من معاصريه فى ثلاثة مجلدات، منه قطعة فى حرف الألف واخرى فى حرف العين بخط المؤلف فى غوطا.

٥- اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا: وهو تاريخ الدولة الفاطمية، منه نسخة فى غوطا بخط المؤلف، عنى المستشرق بونز بنشرها سنة ١٩١١م فى غوتنجن، ولايبزك ١٩٠٩م ص ١٥١ وهذه النسخة طبعت بمطبعة دار الأيتام السورية بالقدس الشريف، كما نشرها الدكتور جمال الدين الشيال فى القاهرة.

----

(٢١) تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/١٩١.

٦- البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب، منها نسخة فى فينّا، وباريس، ودار الكتب المصرية، وقد ترجمها وستنفلد إلى الألمانية، ونشرها فى غوتنجن سنة ١٨٤٧م فى ثلاثة اجزاء.

٧- عقد جواهر الأسفاط فى أخبار الفسطاط، قال جرجى زيدان لم نقف على خبره[٢٢].

٨- إغاثة الأمّة بكشف الغمة، وهو تاريخ المجاعات التى نزلت بمصر منذ اقدم العصور حتى سنة ٨٠٨هـ، وهو العام الذى وضع المؤلف فيه كتابه المذكور وقد نشره الأستاذان، زيادة والشيال بالقاهرة ١٩٤٠.

٩- تاريخ الأقباط، او اخبار قبط مصر، قال سركيس، «وهذا الكتاب مستخرج من كتاب المواعظ والإعتبار «الخطط» وقد طبع مرّتين،

الأولى، باسم «دخول قبط مصر فى دين النصرانية» ومعه ترجمة لاتينية باعتناء الأستاذ ونزر فى سالباشى ١٨٢٨م، ص ٢٤ و ٢١٥.

والثانية، باسم «أخبار قبط مصر» باعتناء العلامة وستنفلد فى غوتا ١٨٤٥م ص ١٧٢ و ٧٠ وباعتناء الأستاذ هماكر فى امستردام سنة ١٨٢٤م[٢٣]».

هذه الكتب الرئيسية التى خصها المقريزى من سلسلة مؤلفاته بتاريخ مصر وبحث فيها جميع جوانبها العلمية والأدبية والاجتماعية، وهناك الكثير من البحوث التى تخص وطنه نراها منتشرة فى ثنايا مؤلفاته غير المخصوصة بمصر، كالبحث عن الدول ------

----

(٢٢) تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/١٩٧.

(٢٣) معجم المطبوعات العربية، ٢/١٧٨٠.

المجاورة لمصر ومدى علاقتها بها وتاريخ النقود المصرية، وغير ذلك.

ولست مبالغًا إذا ادعيت، أنّ المقريزى كان يود أن يزج حديث مصر فى كل كتاب يؤلفه تأكيدًا على حبه لها، وهذه الظاهرة طغت على أكثر من جانب من نتاجه العلمى أو الأدبى، أو التاريخى، أو أى جانب آخر من المواضيع التى كتبها.

ومن الجدير وقد بلغ بنا الحديث إلى مؤلفاته أن نستعرض ما كتب وألف، فقد ذكر السخاوى قائلاً، «قرأت بخطه أنّ تصانيفه زادت على مائتى مجلدة كبارًا[٢٤]».

وأكدت بعض المصادر أنّه كان مثابرًا على التأليف والبحث، ولم يمسكه عن المزيد منها غير مرضه الطويل، ثم وفاته.

قال جرجى زيدان، «ثم استقر فى القاهرة، وانقطع للعلم واشتغل بالتاريخ، وألف فيه مؤلفات مهمة، هى مرجع الناس فى حالة مصر السياسية والاجتماعية فضلاً عن التاريخ[٢٥]».

والحقيقة أنّ المقريزى قد ولع بالجانب التاريخى، وأولى عناية خاصة فيه بحيث اضطر مترجموه أن يعترفوا بهذه الحقيقة، ولقد ذكر ابن تغرى بردى وهو خليفته فى هذا الاتجاه ما يؤكد على هذا الإدعاء.

يقول، «وفى الجملة هو أعظم من رأيناه فى علم التاريخ وضروبه مع معرفتى لمن

----

(٢٤) الضوء اللامع، ٢/٢٢.

(٢٥) تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/١٩٠.

عاصره من علماء المؤرخين، والفرق بينهم ظاهر[٢٦]».

وكذلك السخاوى المؤرخ المصرى الذى ينازع المقريزى مكانته يعترف، فيقول: «وأولع بالتاريخ فجمع منه شيئًا كثيرًا، وصنّف فيه كتبًا وكان لكثرة ولعه به يحفظ كثيرًا منه[٢٧]».

وكانت حصيلة هذه الوفرة العلمية المؤلفات التالية:

١- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ويعرف بخطط المقريزى.

٢- السلوك لمعرفة دول الملوك.

٣- المقفىّ، أو التاريخ الكبير.

٤- درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة.

٥- اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا.

٦- البيان والاعراب عما فى أرض مصر من الأعراب.

٧- عقد جواهر الأسفاط فى اخبار الفسطاط.

٨- إغاثة الأمة بكشف الغمة.

٩- تاريخ الأقباط، او اخبار قبط مصر[٢٨].

١٠- الدرر المضية فى تاريخ الدولة الإسلامية: من مقتل عثمان إلى المستعصم آخر الخلفاء العباسيين، نسخة منه فى كمبريدج.

١١- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، فى ستة مجلدات حدث به فى مكة والمدينة، منه نسخ فى غوطا وكوبرلى، ودار الكتب المصرية.

---

(٢٦) مجلة الثقافة: س١. ع١٩. ص١٧.

(٢٧) الضوء اللامع: ٢/٢٤.

(٢٨) تقدم الحديث عن هذه الكتب.

١٢- نبذة العقود فى امور النقود (او شذور العقود)؛ يشتمل على تاريخ النقود العربية، تكلّم عن النقود القديمة عند الفرس والروم واجزائها، ثم النقود الإسلامية، وتاريخها فى الجاهلية، وما كان ينقش عليها، ثم تكلم عن نقود مصر فى أيامه، منها نسخ فى برلين وليدن والاسكوريال، ونقلت إلى الايطالية، وطبعت فى روستك سنة ١٧٩٧ بهمة الأستاذ تيكس وترجمها دى ساسى إلى الفرنسية ونشرت فى باريس سنة ١٧٩٧، وقد طبعت فى مصر سنة ١٢٩٨هـ، كما طبعها الأب إنستاس فى ضمن كتاب النقود العربية وعلم النميات سنة ١٩٣٩م فى القاهرة وطبعت فى النجف الأشرف فى المطبعة الحيدرية قبل ٢٥ عامًا تقريبًا.

١٣- المكاييل والموازين الشرعية؛ رسالة تبحث فى المكاييل والموازين العربية بالنظر إلى الشرع والعرف العام، منها نسخة فى ليدن واخرى فى دار الكتب المصرية فى ١٨ صفحة، وقد ترجمت إلى الإيطالية وطبعت فى روستك سنة ١٨٠٠م ص ٢٠ و ٨٠، باعتناء الأستاذ رنك.

١٤- مقالة لطيفة وتحفة سنية شريفة؛ فى حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر والرسالة فى المتحف البريطانى.

١٥ - ضوء السارى فى معرفة خبر تميم الدارى؛ فى المتحف البريطانى.

١٦- النحل عبر النحل؛ فى النحل ومملكته، والعسل واسمائه وما يتصل بذلك فى علم الحيوان والنبات، نسخة منه فى كمبريدج ونشرها جمال الدين الشيال سنة ١٩٤٦م بمصر.

١٧- الطريقة الغريبة فى اخبار حضرموت العجيبة (أو الطرفة الغريبة)؛ رسالة فى إرشاد الحاج لطريق مكة. فى كمبريدج، وقد طبعت فى بون، مصورة ومشروحة سنة ١٨٦٦م، باعتناء الأستاذ سكوى عربى ولاتينى.

١٨- الإلمام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام، كتاب صغير طبع فى بتافيا مع ترجمة فرنسية سنة ١٧٩٠م، وفى مصر سنة ١٨٩٥م مطبعة التأليف ص ٢٧، ومطبعة الموسوعات.

١٩- معرفة ما يجب لآل البيت الشريف من الحق على من عداهم منه نسخة فى فينّا.

٢٠- الذهب المسبوك فى معرفة من حج من الملوك: ذكر فيه ٢٦ نفرًا، أولهم الرسول فالخلفاء الراشدون، ومن بعدهم إلى أيامه فى خمسة أجزاء، ومنه نسخة فى كمبريدج.

٢١- الإشارة والأسماء إلى حل لغز الماء: فى دار الكتب المصرية.

٢٢- إزالة التعب والعناء فى معرفة حال الغناء: فى باريس.

٢٣- ذكر ما ورد فى بنى أمية وبنى العباس من الأقوال: منه نسخة فى فينّا.

٢٤- كتاب الخبر عن البشر: وهو كبير فى ستة أجزاء، ذكر فيه القبائل وانساب الرسول (ص)، منه نسخ فى أيا صوفيا، وفى خزانة الفاتح وفى ستراسبورج، وقال جرجى زيدان: ونقلت عنه مجلة المشرق فصلاً فى تاريخ الكتابة العربية فى الإسلام (سنة ١٠ صفحة ٤٧٨)[٢٩].

٢٥- تراجم ملوك الغرب: فيه اخبار أبى حمو، ومن خلفه على تلمسان، منها نسخة فى ليدن، وفينّا فى جملة مجموعة، فيها بضعة عشر مؤلفًا من مؤلفات المقريزى التى تقدم ذكرها.

٢٦- البيان المفيد فى الفرق بين التوحيد والتلحيد: وفى بعض المصادر ورد اسمه (تجريد التوحيد المفيد) نسخة منه فى دار الكتب المصرية، وورد ذكره فى فهرست مخطوطات مكتبة جسر بتى ليدن ٤٥١ برقم ١٤٩٦.

٢٧- جنى الأزهار من الروض المعطار: ذكره جرجى زيدان وقال: «منه نسخة فى دار الكتب المصرية فى ١١٦ صفحة ذكر فيها أنّه خلاصة «الروض المعطار فى عجائب الأقطار» وفيه وصف اهم الأقاليم ومساحاتها، وفى صدر هذه النسخة سمى المؤلف شهاب الدين المقريزى فإذا صحت التسمية، كان المؤلف احد اعقاب تقى الدين

---

(٢٩) تاريخ آداب اللغة العربية: ٣/١٩٤.

المقريزى، لأنّ الروض المعطار الذى لخصه، تاليف ابى عبدالله الحميـرى المتوفى سنة ٩٠٠هـ اى بعد تقى الدين المقريزى بنصف قرن[٣٠]».

٢٨- تاريخ الجـراكسـة، قـال جـرجى زيدان، لعله مـقـتطف من كـتـاب (واسطة السلوك فى دول الملوك)[٣١]».

٢٩- مجمع الفرائد ومنبع الفوائد، ويشمل على علمى العقل والنقل المحتوى على فنى الجد والهزل، بلغت مجلداته نحو المائة، هكذا نقل السخاوى[٣٢].

٣٠- ما شاهده وسمعه مالم ينقل فى كتاب.

٣١- المقاصد السنية فى معرفة الأجسام المعدنية.

٣٢- السير فى سؤال خاتمة الخير.

٣٣- الإشارة والكلام ببناء الكعبة بيت الله الحرام، ومختصره.

٣٤- الإخبار عن الإعذار.

٣٥- شارع النجاة، اشتمل على ما اختلف فيه البشر من أصول دياناتهم وفروعها مع بيان أدلتها، وتوجيه الحق فيها.

٣٦- النزاع والتـخـاصم فيـمـا بين بنى أميـة وبنى هاشـم، وهو الكتـاب الذى نحن نقدمه للقراء الكرام، وقد نَصت عليه كل المصادر التى تترجم للمقريزى.

وتكاد تكون هذه أهم مؤلفات المقريزى حـسـبـمـا ذكرتهـا مـجـمـوعة من المـصـادر القديمة منها والحديثة.

---

(٣٠) تاريخ آداب اللغة العربية، ١٩٣/٣.

(٣١) نفس المصدر، ١٩٢/٣.

(٣٢) انفرد بذكر هذا الكتاب والكتب التى تليه السخاوى فى الضوء اللامع، ٢٢-٢٤/٢، وقد اقتصر على ذكر الاسم فقط.

بقى ان نعرف مدى قابليته على الضبط والاتقان فى النقل التاريخى وباقى الجهات العلمية، وأول ما يطالعنا فى ذلك شمس الدين السخاوى - والذى يعتبر من اعلام عصره - فقد انكر عليه فضل وضعه وابتكاره لأنفس مصدر فى تاريخ مصر الإسلامية، ذلك هو خططه، ونسب إليه النقل والتزييف، وحمل عليه بشدة، ورماه بالادعاء والضعف والسقط.

ولنقرا له - فقرة وردت فى ترجمته يقول فيها: «وكان كثير الاستحضار للوقائع القديمة فى الجاهلية، وغيرها، وأما الوقائع الإسلامية، ومعرفة الرجال وأسمائهم والجرح والتعديل، والمراتب والسير وغير ذلك من أسرار التاريخ ومحاسنه فغير ماهر فيه[٣٣]».

ويقول فى مناسبة أخرى، وفى ضمن ترجمته له أيضًا: «وكان حسن المذاكرة بالتاريخ، ولكنّه قليل المعرفة بالمتقدمين، ولذلك كثر فيهم وقوع التحريف والسقط، وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث والنحو واطلاع على أقوال السلف، وإلمام بمذاهب اهل الكتاب، حتى كان يتردد إليه افاضلهم للإستفادة منه، مع حسن الخلق، وكرم العهد، وكثرة التواضع وعلو الهمة لمن يقصده، كل ذلك مع تبجيل الأكابر له، إما مداراة له خوفا من قلمه أو لحسن مذاكراته[٣٤]».

ولعل القارىء قد لمس محاولة السخاوى فى الحط من شخصية المقريزى من خلال هاتين الفقرتين.

ولكنّ السخاوى يذهب إلى ابعد من هذا الحد فى الانتقاص فيدعى فى موضع

---

(٣٣) الضوء اللامع، ٢٣/٢.

(٣٤) الضوء اللامع، ٢٢/٢.

آخر من مؤلفاته بأنّ المقريزى، «اقام ببلدة عاكفًا على الاشتغال بالتاريخ، حتى اشتهر ذكره، وبعد فيه صيته، وصارت له جملة تصانيف كالخطط للقاهرة وهو مفيد، لكونه ظفر بمسودة الأوحدى فأخذها وزادها زوائد غير طائلة[٣٥]».

وإذا كان السخاوى قد رمى زميله المقريزى بعدم الضبط فى الفقرتين المتقدمتين، ففى هذه المرة رماه بالإختلاس، وهذه تهمة كبيرة جدًا بالنسبة لمؤرخ حاز المكانة الأولى فى آثاره وتصانيفه.

وذهب السـخـاوى يؤكـد هذا المعنى فى اكـثـر من مـوضع، تارة بالتلويح، واخـرى بالصراحة، كل ذلك ليحكم الطعن الذى وجهه إلى زميله المؤرخ الذى نال اهتمام الملوك والزعماء وأهل العلم والأدب فى حينه.

ولكن الذى يرجع إلى كتب السخاوى، ويقرأ ما يكتبه من التراجم يستطيع ان يخرج بنتيجة واضحة فى اسلوب ونفسية السخاوى تلك هى مهاجمته لأكابر عصره، وانتقاصه لأقدارهم، ونقده لجهودهم ففى (الضوء اللامع) ما يكفى للتدليل على هذا الادعاء، ولقد أصاب ابن خلدون، والبقاعى، وأبا المحاسن ابن تغرى بردى ما أصاب المقريزى من لوم وتقريع من السخاوى ولقد الف جلال الدين السيوطى مقامة شديدة كتبها للرد على السخاوى، اسماها (الكاوى على تاريخ السخاوى) قال فيها، «ماترون فى رجل الف تاريخًا جمع منه اكابر واعيانا، ونصب لأكل لحومهم خوانا ملأه بذكر المساوي، وثلب الأعراض، وفوّق فيه السخاوى سهامًا على قدر اغراضه[٣٦]».

---

(٣٥) التبر المسبوك فى ذيل السلوك، ٢١ ط بولاق.

(٣٦) مصر إسلامية، ٥٧ عن مخطوطة المقامة، وجاء فى هامش ٣ من الكتاب والصفحة، انّ كتاب (الكاوى على تاريخ السخاوى) توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم (١٥١٠ - ادب).

ولقد أصبح موقف السخاوى والمقريزى موضع دراسة واهتمام كثير من الباحثين وخاصة لدى المستشرقين، فمنهم من وقف إلى جانب السخاوى وآخر أكد على نظافة المقريزى من هذه التهمة.

واستمر المقريزى فى نشاطه العلمى والأدبى، مثابرًا على التأليف والبحث ولم يمسكه عن المزيد منها غير مرضه الطويل، ثم وفاته عام ٨٤٥هـ بالقاهرة، وذهب السيوطى إلى أنّ وفاته كانت عام ٨٤٠هـ ودفن فى مقبرة الصوفية، خارج باب النصر من القاهرة.

ولم تشر المصادر إلى ذرية له سوى ما ذكرت بعض الروايات من أنّ له بنتا ماتت فى حياته بالطاعون الذى اجتاح القاهرة عام ٨٠٦هـ.

❖ ❖ ❖

وبعد استعراضنا لحياة المؤلف بصورة عاجلة، ننتقل إلى الكتاب الذى نحن بصدد تقديمه للقراء الكرام، وهو:

﴿النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم﴾

هذا هو اسم الكتاب، وهو يشرح بوضوح ما يضم بين دفتيه، وأجمعت المصادر المترجمة للمقريزى أنّه من مؤلفاته.

فالنزاع بين بنى هاشم وبنى أمية يمتد جذوره إلى هاشم بن عبد مناف،

وابن اخيه أمية بن عبد شمس، فيستعرض المقريزى جملة من الأسباب التى أحكمت المنافرة بين هاشم وأمية، وانتقلت بعدهما إلى ولديهما عبدالمطلب بن هاشم وحرب بن أمية وتمادت العداوة بين البيتين حتى انتقلت من رجل إلى رجل، وانتهت إلى رسول الله (ص)، وكان موقف ابى سفيان معلومًا لكل من اطلع على خطوط السيرة النبوية، وتاريخ تلك الحقبة من السنين.

ثم انتقل هذا الموقف إلى الإمام على عليه السلام، ومعاوية ابن ابى سفيان، وبعده إلى الحسين بن على «ع» ويزيد بن معاوية، وهكذا تسلسل من بيت إلى بيت، ومن رجل إلى رجل، ولقد احكم هذا النزاع وتوثقت أسبابه على مر الأيام، وهول الأحداث، وتجسد على مسرح التاريخ بشكل تتقزّز منه النفوس من ظلم الأمويين لهذا البيت الطاهر الذى فضّله الله بالإمامة وشرّفه بالنبوّة، وخصه بكل مكرمة.

وحاول المقريزى أن يستعرض علاقة هاذين البيتين ويسجل الأسباب التى دعت إلى المنافرة وفعلا نجحت محاولته، وكان - كما أعهد - الكتاب الأول فى موضوعه، إذ لم يسبقه أحد فى هذا البحث، سوى ما سجلته المصادر التاريخية الكبرى فى ثناياها عن سيرة بنى هاشم، وبنى أمية ولكن دون ان تخصهما بكتاب مستقل.

وجاء الكتاب سجلا حافلا مسلسلا عن المشاكل والخصام القائمة بين هاتين الأسرتين، والصّراع الدامى الذى دار بينهما زمانا ليس بالقصير وانتهى إلى مآسى فظيعة اسودّ فيها وجه التاريخ.

ولم يقتصر المؤلف على موقف الأمويين من الهاشميين فحسب، بل تناول موقف العباسيين - استطرادًا - من العلويين، وسرد الكثير من الوقائع التى جرت عليهم، من

قبل الخلفاء العباسيين وأعوانهم، وألوان الضيم والظلم، والاضطهاد والجور، بحيث يقصر الحديث لو حاول الإنسان التحدث فيه.

ولعل الشاعر العربى ليس مبالغًا فى قوله:

تالله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

وهذا الصّراع الدامى الذى لاقاه الهاشميون من يومهم الأول، وحتى نهاية الدولة العباسية، وما بعده بألوانه الدامية، سواء من الأمويين أو من العباسيين أو من غيرهم ماهو إلا صراع بين الحق والباطل، والخير والشر، وكانت النتيجة غير ما قدر لها الأمويين وأضرابهم:

فهـذا علـى والأهازيـج باسمـه تشق الفضا النائى فهاتوا معاويا
أعيدوا ابن هند إن وجدتم رفاته رفاتـا وإلا فانشروهـا مخازيا

وكان المقريزى موفقا كل التوفيق فى تسجيل تلك الأحداث، وتصوير تلك المآسى مما جسد طبيعة الصّراع والأحداث بينهما خير تجسيد وافهم الناس المحق منهما من المبطل.

ولما كان هذا الموضوع وطيد الصلة بمجتمعنا الإسلامى، وإن الأمة الإسلامية تواقة للإطلاع على تفاصيل هذا الموضوع، كان من الطبيعى ان يلاقى هذا الكتاب رواجًا باهرًا، ويطبع عدة طبعات، خاصة إذا انتهينا إلى انّ لهذا الموضوع علاقة اكيدة بعقائدنا وتقاليدنا الدينية.

ولقد عثرت على ثلاث طبعات من هذا الكتاب أسجل عنها الملاحظات التالية بإيجاز:

١- طبعة ليدن:

وقد طبعت فى عام ١٨٨٨م بمدينة ليدن، ووضع لها الأستاذ جيرار دوس قوس مقدمة باللغة الألمانية، وجاء الكتاب النص العربى منه فى ٧٢ صفحة وينتهى فى الصفحة ٧١، أما الصفحة الأخيرة فقد جاء فيها ما يلى:

«تم هذا الكتاب والحمد لله أولا وآخرًا، وقد نقلته من نسخة موجودة عند حضرة على بك فهمى نجل المرحوم رفاعة بك رافع الطهطاوى وبها نقص فى وسطها تركت له بياضًا على قدره، وكتبها عبدالعزيز إسماعيل الأنصارى الطهطانى فى شهر جمادى الثانية سنة ١٢٩٥هـ.

تم كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بنى امية، وبنى هاشم تاليف الشيخ الإمام العالم العلامة العمدة حافظ العصر ومؤرخ الوقت أبى العباس احمد بن على بن عبدالقادر بن محمد بن تميم المقريزى الشافعى تغمده الله تعالى برحمته، وأسكنه فسيح جنته، واعاد علينا من فوائد علومه وبركته وجعله رفيقا من النبيين، والصديقين، والشهداء والصالحين على التمام والكمال ونعوذ بالله من الزيادة والإختلال، والحمد لله وحده، وصلّى الله على من لانبى بعده، محمد وآله وصحبه والتابعين، نقلت هذه النسخة من نسخة نقلت من خط المؤلف فى خامس عشر ذى القعدة سنة ١١٣١هـ واحد وثلاثين ومائة والف. كتبه الفقير على ابن السيد محمد الشيلاوى، غفر الله له ولوالديه، ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين».

وفى النسخة بعض الشروح البسيطة، وتوجد نسخة من هذه الطبعة فى مكتبة آية الله الحكيم العامة فى النجف الأشرق.

٢- طبعة مصر:

وتاريخ هذه الطبعة يعود إلى عام ١٩٣٧م فى أول اغسطس فى المطبعة الإبراهيمية فى مصر، وقد قدم الكتاب الشيخ محمود عرنوس القاضى بالمحاكم الشرعية المصرية، عرّف فيها المؤلف والكتاب بصورة مختصرة، وتقع فى ٦ صفحات قطع الربع، وأهدى الناشر إبراهيم يوسف صاحب مكتبة الأهرام الكتاب إلى الدكتور على زكى العرابى باشا.

وجاء فى المقدمة المذكورة: «وكتاب التخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم وهو الذى تقدم له هذه المقدمة، وهو معتبر من فلسفة علم التاريخ ككتاب السخاوى المسمى الإعلام بالتوبيخ، فكلاهما كتاب فلسفى يدل على مقدرة مؤلفه».

والظاهر أنّ الناشر اعتمد على نفس النسخة التى اعتمد عليها الناشر لطبعة ليدن، إذ جاءت نفس الفقرات التى مرت فى نهاية طبعة ليدن، ويقع فى ٩٠ صفحة.

والحق الناشر بهذا الكتاب رسالة للجاحظ فى بنى امية، وتقع فى ١٢ صفحة وقد ضمنها نقد معاوية ومن والاه.

٣- طبعة النجف:

وتاريخ هذه الطبعة عام ١٣٦٨هـ وقامت بطبعها المطبعة العلمية فى النجف الأشرف، وعنى بتصحيحها الأستاذ الخطيب السيد على الهاشمى - عضو جمعية

الرابطة الأدبية فى النجف الأشـرف - وقد صـدَّرها بتـرجـمـة موجـزة للمؤلف تقع فى صـفـحـتين، ويقع الكتاب فى ٦٢ صـفـحـة قطع الربع والحق بها رسـالـة الجاحظ فى بنى أمية المتقدمة الذكر، وتقع فى ٩ صفحات وجاء فى مقدمة طبع المطبعة العلمية مايلى:

«رات المطبعة العلمية من المستحسن إعادة طبع كتاب (النزاع والتخاصم) للمؤرخ الشهير المقريزى لندرته واحتياج الكثيرين إليه، مع العلم أنَّ لدى صـاحب المطبعة نسـخة خطية ذات شأن، فكلفت آنئذ الأستاذ الخطيب السيد على الهاشمى أن يقف على طبعه وتصـحـيـحـه، فلبى السـيـد الـهـاشـمـى هذا الطلب، وصـار يقـابل النسـخـة الخطيـة على النسخة المطبوعة فى القاهرة، والتى نشرها - السيد إبراهيم يوسف - صاحب مكتبة الأهرام فطبعت هذه النسـخـة القيـمـة مع المحـافظة على تعليـقـات صـاحب الفـضـيلة الأسـتـاذ مـحـمـود عـرنوس القـاضى، فللأسـتـاذين القـاضى، والهـاشـمـى جـزيل الشكر والموفقية. ١٥ رجب - ١٣٦٨هـ.

ولصلة الكتاب بعـقـائدنا، فقد تقرر أن يكون ضـمن سلسلة مطبوعـاتنا، وفـعـلاً تحقق مـا صـمـمنا عليه، وجعلنا الركيزة الأولى للكتاب طبعة ليدن، وعليهـا جـرت هذه الطبعة، ورجائى أن يكون قد ادى خدمة كبيرة بهذا العمل الجليل، وأن يكون من حيث الطبـاعة والتـصـحيح مـا يرضى القارىء الكريم، وقـد الحقنا به تعليـقـا من باب زيادة الفائدة. والله الموفق.

محمد السيد على بحر العلوم

النزاع والتخاصم

الحمد لله المعطى ما شاء من شاء لا مانع لعطائه، ولا راد لمراده وقضائه، احمده بما هو اهله من المحامد، واشكره على فضله المتزايد، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معاند، واشهد انّ محمدًا عبده ورسوله ونبيه وخليله. اللهم صلّ عليه وعلى آله وصحابته ومحبيه، واهل طاعته، وسلم، وشرف، وكرم.

اما بعد:

فإنى كثيرًا ما كنت اتعجب من تطاول بنى امية إلى الخلافة مع بعدهم من جذم[1] رسول الله (ص) وقرب بنى هاشم واقول: كيف حدثتهم انفسهم بذلك واين بنو امية وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله (ص) ولعينه من هذا الحديث مع تحكم العداوة بين بنى أمية وبنى هاشم فى أيام جاهليتها، ثم شدة عداوة بنى امية لرسول الله (ص) ومبالغتهم فى اذاه، وتماديهم على تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله عز وجل بالهدى ودين الحق إلى ان فتح مكة شرّفها الله تعالى فدخل من دخل منهم فى الإسلام كما هو معروف مشهور، وأردد قول القائل:

كم من بعيد الدار نال مراده   وآخر دانى الدار وهو بعيد

فلعمرى، لا بعد ابعد مما كان بين بنى أمية وبين هذا الأمر إذ ليس لبنى أمية سبب إلى الخلافة ولا بينهم وبينها نسب إلا ان يقولوا: «إنا من قريش» فيساوون فى هذا الاسم قريش الظواهر، لأن قوله (ص): «الأئمة من قريش» واقع على كل قرشى[2].

---

(١) جذم كل شىء: أصله، والجمع: اجذام، وجذوم.

(٢) يقصد بقريش الظواهر مجموعة القبائل التى نزلت حول مكة من بنى الحارث وبنى محارب وبنى تميم وغيرهم. وحديث الأئمة من قريش رواه الطبرانى والنسائى والبخارى فى التاريخ.

ومع ذلك فأسباب الخلافة معروفة، وما يدعيه كل جيل معلوم، وإلى كل ذلك قد ذهب الناس، فمنهم من ادعاه لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه باجتماع القرابة والسابقة والوصية بزعمهم فإن كان الأمر كذلك فليس لبنى أمية فى شىء من ذلك دعوى عند احد من أهل القبلة.

وإن كانت إنما تنال الخلافة بالوراثة، وتستحق بالقرابة، وتستوجب بحق العصبة، فليس لبنى أمية فى ذلك متعلق عند احد من المسلمين.

وإن كانت لا تنال إلا بالسابقة، فليس لهم فى السابقة قديم مذكور، ولا يوم مشهور، بل لو كانوا إذ لم تكن لهم سابقة ولم يكن فيهم مايستحقون به الخلافة لم يكن فيهم ما يمنعهم منها اشد المنع كان أهون وكان الأمر عليهم أيسر.

﴿ فصل فى ابى سفيان ومروان ﴾

فقد عرفنا كيف كان أبو سفيان فى عداوته النبى (ص) وفى محاربته وفى اجلابه عليه وفى غزوه إياه، وعرفنا إسلامه كيف أسلم، وخلاصه كيف خلص، على أنه إنما أسلم على يد العباس رضى الله عنه، والعباس هو الذى منع الناس من قتله وجاء به رديفا[٣] إلى النبى (ص) وسأل ان يشرّفه وان يكرمه وينوه به، وتلك يد بيضاء، ونعمة غراء، ومقام مشهور، وخبر غير منكور، فكان جزاء ذلك من بنيه أن حاربوا عليا وسموا الحسن وقتلوا الحسين وحملوا النساء على الأقتاب[٤] حواسر[٥] وأرادوا الكشف عن عورة على بن الحسين حين اشكل عليهم بلوغه، كما يصنع بذرارى المشركين إذا دخلت

---

(٣) رديفا اى راكبا خلفه.

(٤) الاقتاب مفردها قتب وهى الرحل الصغير.

(٥) حواسر اى مكشوفات وهو هنا يشير إلى نقل نساء آل البيت إلى يزيد بعد مذبحة كربلاء.

ديارهم عنوة[٦] وبعث معاوية بن ابى سفيان إلى اليمن بسر بن ارطاة[٧] فقتل ابنى عبيدالله بن العباس، وهما غلامان لم يبلغا الحلم، فقالت أمهما عائشة بنت عبدالله بن عبد المدان بن الديان ترثيهما:

يامـن احـس بابنىّ الذين هما   كالدرتين تشظّى عنهما الصدف
انحى على ودجى طفلّى مرهفة   مطرورة وعظيم الإثم يقترف[٨]

وقتلوا لصلب على بن ابى طالب تسعة، وصلب عقيل بن ابى طالب تسعة، ولذلك قالت نائحتهم[٩]:

عين جودى بعبرة وعويل   واندبى إن ندبت آل الرسول
تسعة منهم لصلب على   قد اصيبوا وتسعة لعقيل

هذا وهم يزعمون ان عقيلا اعان معاوية على علي، فإن كانوا كاذبين فما أولاهم بالكذب، وإن كانوا صادقين فما جازوه خيرًا إذ ضربوا عنق مسلم بن عقيل صبرًا وقتلوا معه هانىء بن عروة لأنه آواه ونصره[١٠].

---

(٦) على بن الحسين هو على الأصغر كان مريضًا ولم يشارك فى القتال يوم كربلاء وأخذه رجال يزيد اسيرًا. وهو الملقب بالإمام السجاد زين العابدين الإمام الرابع عند الشيعة.

(٧) بسر بن ارطاة القرشى من رجال معاوية المتعصبين ضد على وآل البيت اختلف فى تاريخ وفاته. انظر طبقات ابن سعد جـ ٧. وانظر كتب التراجم.

(٨) تشظى اى تشقق والودج عرق فى العنق وودجى اى عرقى ومطرورة اى محدودة وهذه الأبيات وردت ضمن ابيات أخرى لها فى الكامل لابن الأثير ومروج الذهب للمسعودى والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبدالبر والكامل للمبرد. انظر احداث عام ٤٠هـ فى كتب التاريخ.

(٩) هذه الأبيات منسوبة إلى بنت عقيل بن ابى طالب وهى ترثى شهداء كربلاء. انظر العقد الفريد لابن عبدربه جـ٤. وانظر مقاتل الطالبيين للأصفهانى.

(١٠) مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة قتلا على يد عبيدالله بن زياد بالكوفة وكان الإمام الحسين قد ارسل مسلم إلى الكوفة لطلب البيعة من اهلها. انظر كتب التاريخ احداث عام ٦٠هـ.

قال الشاعر[١١]:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظرى إلى هانىء فى السوق وابن عقيل
ترَى بطلاً قد هشَم السيف رأسه وآخـر يُرمى من طمار قتيل

واكلت هند كبد حمزة، فمنهم آكلة الأكباد، ومنهم كهف النفاق ونقروا بالقضيب بين ثنيتى الحسين، ونبشوا زيدًا وصلبوه والقوا رأسه فى عرصة الدار تطأه الأقدام وتنقر دماغه الدجاج[١٢] حتى قال القرشى:

أطردوا الديك عن ذؤابة زيد طال ما كان لاتطأه الدجاج

وقال شاعر بنى امية[١٣]:

صلبنا لكم زيدًا على جذع نخلة
ولم نرَ مهديا على الجذع يصلب

وقتلوا يحيى بن زيد وسمّوا قاتله ثائر آل مروان وناصر الدين[١٤].

---

(١١) اختلف اهل السير فى صاحب هذه الأبيات فنسبها الدنيورى فى الأخبار الطوال إلى عبدالرحمن بن الزبير الأسدى اما الطبرى فنسبها إلى الفرزدق ونسبها الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين إلى عبدالله بن الزبير الأسدى والطمار المكان المرتفع.

(١٢) كهف النفاق يقصد به هنا ابو سفيان بن حرب والدمعاوية. وزيد هو ابن على بن الحسين الذى ثار علَى هشام بن عبدالملك وقتل وصلب.

(١٣) هو الأعور الطلبى حكيم بن عياش كان من خصوم على وممن يهجون آل البيت وهجاه الكميت شاعر آل البيت. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان: ٦ /١١١.

(١٤) هو يحيى بن زيد بن على بن الحسين ووالده زيد هو الذى ثار على هشام بن عبدالملك وقتل ثم صلب. وثار يحيى على الوليد بن يزيد وقتل وصلب ويروى أن ابا مسلم الخراسانى انتقم من قتلته بعد ذلك. انظر مقاتل الطالبيين للأصفهانى. وانظر الكامل لابن الأثير جـ ١٠٨/٥.

وضربوا على بن عبدالله بن العباس بالسياط مرتين على ان تزوج بنت عمه الجعفرية التى كانت عند عبدالملك بن مروان.

وعلى ان نحلوه[١٥] قتل سليط وسموا ابا هاشم بن محمد بن على[١٦] وضرب سليمان بن حبيب بن المهلب ابا جعفر المنصور بالسياط قبل الخلافة، وقتل مروان الحمار الإمام إبراهيم بن محمد بن على ادخل راسه فى جراب نورة حتى مات[١٧]. وقتلوا يوم الحرة[١٨] عون بن عبدالله بن جعفر، وقتلوا يوم الطف[١٩] مع الحسين ابا بكر ابن عبدالله بن جعفر، وقتلوا يوم الحرة الفضل بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، والعباس بن عتبة بن ابى لهب وعبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب. ومع ذلك كله فإن عبدالملك بن مروان ابو الخلفاء من بنى مروان أعرق الناس فى الكفر لأن جده لأبيه الحكم بن ابى العاص لعين رسول الله (ص) وطريده وجده لأمه معاوية بن المغيرة بن ابى العاصى طرده رسول الله (ص)، ثم قتله على وعمار صبرًا[٢٠].

---

(١٥) نحلوه اى نسبوا إليه قتل سليط بن عبدالله بن عباس وإليه ينسب ابو مسلم الخراسانى.

(١٦) سمه سليمان بن عبدالملك بسبب خوفه منه على الخلافة.

(١٧) جراب نورة اى جراب مملوء بالجير.

(١٨) يوم الحرة يوم عصت المدينة يزيد بن معاوية عام ٦٣هـ بعد مذبحة كربلاء واستباح فيها جنود يزيد نساء المدينة وخربوها. انظر تفاصيل هذه الوقعة الشنعاء والوصمة السوداء فى كتب التاريخ احداث عام ٦٣هـ.

(١٩) يوم الطف هو يوم كربلاء العاشر من محرم عام ٦١هـ.

(٢٠) عبدالملك بن مروان هو الخليفة الرابع فى دولة بنى امية وأولاده هم الذين حكموا من بعده. انظر سيرته فى تاريخ الخلفاء للسيوطى وكتب التاريخ، ومروان والده تولى الحكم بعد يزيد وتنازل معاوية الثانى. اما الحكم بن العاص ومعاوية بن المغيرة بن ابى العاص كلاهما حلت عليه اللعنة والطرد من قبل الرسول (ص) بعد فتح مكة وعاد الحكم إلى الظهور على الساحة فى عهد عثمان بن عفان وكان له دوره فى الفتنة التى اودت بحياته كما كان له دورًا فى وقعة الجمل من قبل وهو الذى رمى طلحة بن عبيدالله بسهم فقتله كى يشعل نار الفتنة بين المسلمين. وسياتى ذكر الحكم ومعاوية.

ولا يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالإيمان وأقدمهم فيه، هذا وبنوامية قد هدموا الكعبة[٢١]، وجعلوا الرسول دون الخليفة[٢٢]، وختموا فى أعناق الصحابة[٢٣]، وغيروا أوقات الصلاة[٢٤]، ونقشوا أكف المسلمين، ومنهم من أكل وشرب على منبر رسول الله (ص) ونهبت الحرم ووطئت المسلمات فى دار الإسلام بالبقيع فى أيامه[٢٥].

وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكر ملوك بنى أمية قال: كان عبدالملك جبارًا لا يبالى ما صنع، وكان الوليد مجنونا، وكان سليمان همة بطنه وفرجه، وكان عمر أعور بين عميان، فإذا قيل عدل قال: إن من عدله أن لا يقبلها ممن لم يكن لها أهلا، ويتولاها بغير استحقاق، وكان رجلهم هشام، وقد صدق أبو جعفر، وكان يقال لهشام: الأحول السراق لأنه ما زال يدخل عطاء الجند شهرًا فى شهر حتى أخذ لنفسه مقدار أرزاق سنة فلذلك قالوا: الأحول السراق، وقال خاله إبراهيم بن هشام المخزومى ما رأيت من هشام خطأ قط إلا مرتين فإن الحادى حدا به مرة فقال:

إن عليك أيها البختى   أكرم من تمشى به المطى

فقال صدق قولك.

---

(٢١) يشير المقريزى هنا إلى ضرب الأمويين الكعبة بالمنجنيق المرة الأولى عام ٦٤هـ. والمرة الثانية عام ٧٣هـ على يد الحجاج بن يوسف وذلك أثناء حركة ابن الزبير.

(٢٢) المقصود أن معاوية والمروانيين من بعده سنوا سنة تقديس الحكام وربطهم بالشرع عن طريق طبقة الفقهاء التى اخترعوها وربط طاعتهم بطاعة الله وعدم رد قولهم أو مراجعتهم ثم تطاولوا بعد ذلك على الرسول (ص) وبنى هاشم. وستاتى الإشارة لذلك.

(٢٣) كان ذلك فى عام ٧٤هـ بعد القضاء على ابن الزبير حين قام الحجاج بوضع أختام الرصاص فى أعناق الصحابة. انظر كتب التاريخ.

(٢٤) قام معاوية والمروانيين من بعده بتغيير الكثير من السنن التى سنها الرسول (ص) فيما يتعلق بالصلاة وغيرها ويروى: أول من يبدل سنتى رجل من بنى أمية. رواه أبى يعلى وابن أبى شيبة.

(٢٥) الإشارة هنا إلى ماحدث يوم الحرة.

وقـال مـرة: والله لأشكونّ سليمـان بن عبـدالملك إلى أميـر المؤمنين عبـدالملك بن مروان.

وهذا ضعف شديد وجهل عظيم.

وكان هشام يقـول «والله لأستحى من الله أن أعطى رجلا أكثر من أربعة آلاف درهم».

وقدّم هشام ابنه سعيدًا على حمص فرمى بالنساء فكتب ابو الجعد الطائى إلى هشام مع خصى وأعطاه فرسًا على أن يبلغ الكتاب وفيه:

ابلـغ لديـك اميـر المؤمنين فقد ... أمددتنــــا بأميــر ليـــس عنّينـــا
طورًا يخالف عمرًا فى حليلته ... وعند راحة يبغى الأجر والدينا[٢٦]

فعزله وقال: يا ابن الخبيثة تزنى وانت ابن امير المؤمنين، أعجزت أن تفجر فجور قريش قبل هذا؟ وقال: هذا لا يلى لى عملاً أبدًا.

وحسـبك من عبـدالملك بن مـروان قيـامه على منبـر الخلافة وهو يقـول: «مـا انا بالخليـفـة المسـتـضعـف، ولا بالخليـفة المداهن، ولا بـالخليـفـة المأفـون. وهؤلاء هم سلفـه وائمته، وبشـفعتهم قـام ذلك المقام وبتـاسيسـهم وتقدمهم نال تلك الرياسـة، ولولا العادة المتـقـدمـة والأجناد المجنّدة والصنائع القـائمـة لكان أبعـد خلق الله من ذلك المقـام، فـالمستـضعف عنده عثـمـان بن عفـان، والمداهن عنده مـعـاوية، والمأفون عنده يزيد بن معـاوية، والضـعـيف لا يكون خليـفـة لأنه الذى ينال القـوى منه عند انتـشـار الأمر عليه، والمداهن لا يكون إمامًا، ولا يوثق منه بعقد، ولا بوفاء عهد، ولا بضميـر صحيح ولا بغيب كريم، والمأفون لا يكون إمامًا، وهذا الكلام نقض لسلطانه، وعداوة لأهله وإفساد لقلوب

---

(٢٦) البيتان من العقد الفريد لابن عبدربه جـ ٤ /٤٤٨.

شيعته، وقرة عين عدوه، وعجز فى رايه، فإنه لم يقدر على إظهار قوته، إلا بأن يظهر عجز ائمته. وقد كانت المنافرة لا تزال بين بنى هاشم وبنى عبدشمس بحيث أنه قال: إنّ هاشمًا وعبدشمس ولدا توامين فخرج عبدشمس فى الولادة قبل هاشم وقد لصقت اصبع احدهما بجبهة الآخر فلما نُزعت دمى المكان فقيل سيكون بينهما أو بين ولديهما دم فكان كذلك. ويقال: إن عبدشمس وهاشمًا كانا يوم ولدا فى بطن واحد كانت جباههما ملصقة بعضها ببعض فأخذ السيف ففرق بين جباههما بالسيف، فقال بعض العرب: الا فرق ذلك بالدرهم فإنه لا يزال السيف بينهم وفى أولادهم إلى الأبد.

﴿ جــذور العــداء﴾

وكانت المنافرة بين هاشم بن عبد مناف بن قصى وبين ابن اخيه أمية بن عبدشمس بن عبد مناف وسببها: ان هاشمًا كانت إليه الرفادة[٢٧] التى سنها جده قصى ابن كلاب بن مرة مع السقاية وذلك أن اخاه عبدشمس كان يسافر وقلما يقيم بمكة وكان رجلا مقلاً وله ولد كثير فاصطلحت قريش على ان ولى هاشم السقاية والرفادة، وكان هاشم رجلاً موسرًا وكان إذا حضر موسم الحج قام فى قريش فقال: «يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته، وإنكم يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته، وهم ضيف الله واحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصكم الله بذلك واكرمكم به حفظ منكم افضل ما حفظه جار من جاره، فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون شعثا غبرًا من كل بلد على ضوامر كالقداح وقد أزحفوا وتفلّوا وقملوا وارملوا فاقروهم واغنوهم واعينوهم[٢٨].

---

(٢٧) الرفادة من الرفد أى الإعانة.

(٢٨) المقصود ان الوافدين على بيت الله الحرام قد اخذ منهم السفر ماخذه فهزلوا من الجوع واتسخوا واحتاجوا.

فكانت قريش ترافد على ذلك حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشىء اليسير على قدرهم فيضمه هاشم إلى ما اخرج من ماله وما جمع مما يأتيه به الناس، فإن عجز كمله، وكان هاشم يُخرج فى كل سنة مالا كثيرًا وكان قوم من قريش يترافدون، فكانوا أهل يسار فكان كل إنسان منهم ربما أرسل بمائة مثقال هرقلية(٢٩).

وكان هاشم يأمر بحياض من آدم فتجعل فى موضع زمزم من قبل أن تحفر زمزم، ثم يستقى فيها من الآبار التى بمكة فيشرب الحاج. وكان يطعمهم أول مايطعمهم قبل التروية بيوم بمكة ويطعمهم بمنى وبعرفة وبجمع، فكان يثرد لهم الخبز واللحم، والخبز والسمن، والسمن والسويق والتمر، ويحمل لهم الماء حتى يتفرق الناس لبلادهم.

وكان هاشم يسمى عمرًا وإنماقيل له «هاشم» لهشمه الثريد وهو واول من أطعم الثريد بمكة وكان أمية بن عبدشمس ذا مال فتكلف أن يفعل كما فعل هاشم من إطعام قريش فعجز عن ذلك فشمت به ناس من قريش وعابوه، فغضب ونافر هاشمًا على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة وعلى جلاء عشر سنين وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى جد عمرو بن الحمق الصحابى، وكان منزله عسفان وخرج مع أمية أبو همهمة حبيب بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك الفهرى فقال الكاهن: «والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أول منه وآخر، وابو همهمة بذلك خابر».

فأخذ هاشم الإبل فنحرها واطعم لحمها من حضر، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكان هذا أول عداوة وقعت فى بنى هاشم وبنى امية، ولم يكن أمية فى

---

(٢٩) هى العملة البيزنطية السائدة بين العرب آنذاك.

نفسه هناك وإنما رفعه ابوه وبنوه وكان مضعوفا وكان صاحب عهار يدل على ذلك قول تفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أمية وعبدالمطلب بن هاشم فنفر عبدالمطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال:

ابوك معاهر وابوه عفٌ   وذاد الفيل عن بلد حرام

وذلك انّ امية كان يعرض لامراة من بنى زهرة فضربه رجل منهم ضربة بالسيف واراد بنو أمية ومن تابعهم إخراج زهرة من مكة، فقام دونهم قيس بن عدى السهمى وكانوا اخواله وكان منيع الجانب شديد العارضة حمىّ الأنف ابىّ النفس، فقام دونهم وقال وصاح «اصبح ليل» فذهبت مثلاً ونادى «الا إنّ الضاعن مقيم(٣٠)».

ففى هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف بن زهرة:

مهلاً أمى فإن البغى مهلكة   لا يكسبنك ثوبا شره دكر
تبدو كواكبه والشمس طالعة   يصب فى الكأس منه الصاب والمقر(٣١)

وصنع أمية فى الجاهلية شيئا لم يصنعه احد من العرب زوج ابنه أبا عمرو بن أمية امراته فى حياة منه، والمقتيون فى الإسلام هم الذين اولدوانساء ابائهم واستنكحوهن من بعد موتهم، واما ان يتزوجها فى حياته ويبنى عليها وهو براء فإن هذا لم يكن قط.

---

(٣٠) الظاعن الراحل.

(٣١) وهب بن عبد مناف هو جد الرسول (ص) لأمه. والمقر الشىء المر.

وأمية قد جاوز هذا المعنى ولم يرض بهذا المقدار حتى نزل عنها له وزوجها منه وابو معيط بن ابى عمرو بن أمية قد زاد فى المقت درجتين ثم نافر حرب بن أمية عبدالمطلب بن هاشم من اجل يهودى كان فى جوار عبدالمطلب فما زال أمية يغرى به حتى قتل واخذ ماله فى خبر طويل.

وتمادت العداوة بين البيتين حتى قام سيّد بنى هاشم ابو القاسم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم رسول الله (ص) بمكة يدعو قريشا إلى توحيد الله تعالى جلت قدرته وترك ما كانت تعبد من دون الله فانتدب لعداوته (ص) جماعة بنى أمية منهم ابو أحيحة سعيد بن العاصى بن أمية حتى هلك على كفره بالله فى اول سنة من الهجرة او فى سنة أثنين وهو يحادّ الله ورسوله، ومنهم عقبة بن ابى معيط ابان بن عمرو بن أمية، وكان اشدّ الناس عداوة لرسول الله (ص) وإذا إلى ان قاتل يوم بدر فأتى به إلى رسول الله (ص) وقد أسر فأمر بضرب عنقه فجعل يقول:

يا ويلتى علام اقتل يا معشر قريش أأقتل من بين هؤلاء؟

فقال رسول الله (ص): لعدواتك لله ولرسوله.

فقال: يامحمد منك افضل فاجعلنى كرجل من هؤلاء من قومى وقومك، يامحمد من للصبية؟

قال: النار وضرب عنقه.

وقيل: إن رسول الله (ص) امر به فصلب، فكان أول مصلوب فى الإسلام.

وقال عطاء عن الشعبى: إنّ رسول الله (ص) قال لعقبة بن ابى معيط يوم بدر: والله لأقتلنك.

فقيل اتقتله من بين قريش؟

قال: نعم إنّه وطىء على عنقى وانا ساجد، فلما رفعت حتى ظننت ان عينّى قد سقطتا، وجاء وانا ساجد بسلى شاة فالقاها على راسى، فانا قاتله(٣٢).

ومنهم الحكم بن ابى العاصى بن امية وكان عارًا فى الإسلام وكان مؤذيًا لرسول الله (ص) بمكة يشتمه ويسمعه ما يكره، فلما كان فتح مكة اظهر الإسلام خوفا من القتل. فلم يحسن إسلامه وكان مغموصًا عليه فى دينه(٣٣).

ثم قدم المدينة فنزل على عثمان بن عفان بن ابى العاصى بن أمية، وكان يطالع الأعراب والكفار بأخبار رسول الله (ص)، وبينا رسول الله (ص) يمشى ذات يوم مشى الحكم خلفه فجعل يختلج بانفه وفمه كأنّه يحاكى رسول الله (ص)، يتفكك ويتمايل فالتفت رسول الله (ص) فرآه، فقال له: كن كذلك، فما زال بقية عمره على ذلك.

واطلع يومًا على رسول الله (ص) وهو فى حجرة بعض نسائه فخرج إليه بعنزة فقال: من عذيرى من هذا الوزغة لو ادركته لفقأت عينه(٣٤).

---

(٣٢) انظر سيرة ابن هشام جـ ١.

(٣٣) مغموصًا اى مطعونا محقرًا.

(٣٤) انظر انساب الأشراف للبلاذرى جـ ١/١٢٤. وانظر مسلم كتاب الآداب والبخارى كتاب الاستئذان والديات.

وقال زهير بن محمد عن صالح بن ابى صالح قال: حدثنى نافع بن جبير بن مطعم عن ابيه قال: كنا مع النبى (ص) فمر الحكم بن أبى العاصى فقال النبى (ص): ويل لأمتى مما فى صلب هذا[٣٥].

ثم إنَّ النبى (ص) لعنه وما ولد وغرّبه عن المدينة فلم يزل خارجًا عنها بقية حياة رسول الله (ص) وخلافة ابى بكر وعمر فلما استخلف عثمان ردَّه إلى المدينة وولده فكان ذلك مما انكره الناس على عثمان، وكان اعظم الناس شؤمًا على عثمان فإنَّهم جعلوا إدخاله المدينة بعد طرد النبى إيّاه وبعد امتناع أبى بكر وعمر من ذلك اكبر الحجج على عثمان ومات فى خلافته فضرب على قبره فسطاطا[٣٦].

وقد قالت عائشة لمروان بن الحكم: أشهد انَّ رسول الله (ص) لعن اباك وانت فى صلبه[٣٧].

---

(٣٥) رواه الهيثمى. وانظر تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن ابى سفيان لابن حجر الهيتمى ملحق بكتابه الصواعق المحرقة.

(٣٦) نقل عن بعض فقهاء التبرير ان الحكم ذهب باختياره، ولم يطرده الرسول إلا ان كل الروايات تؤكد وقوع الطرد. انظر منهاج السنة لابن تيمية جـ ٣ /١٩٦ و ٢٣٥. وانظر العواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى. وقال ابن حزم: ونفى رسول الله (ص) لم يكن حدًا واجبًا ولا شريعة على التأبيد. وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفى. والتوبة مبسوطة. فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من احد من اهل الإسلام وصارت الأرض كلها مباحة. انظر الفصل فى الملل والنحل جـ ٤ /١٥٤. وتامل قوله بلا خلاف من احد من أهل الإسلام فكان المخالفين فى هذا ليسوا من أهل الإسلام.

(٣٧) روايات لعن الحكم واولاده وردت فى عدة مصادر ففى رواية البزار: لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه. ويروى عن الحسين قوله فى مروان: فو الله لقد لعنك الله على لسان نبيه (ص) وانت فى صلب أبيك. وعن ابن الزبير قال: ورب الكعبة لقد لعن رسول الله (ص) فلانا - الحكم - وما ولد من صلبه. انظر تطهير الجنان واللسان. وقال ابن الأثير: رويت اخبار كثيرة فى لعنه ولعن من فى صلبه رواها الحفاظ وفى اسانيدها كلام. الكامل: حـ ٤ /١٥.

وقال عبدالرحمن بن حسان بن ثابت لمروان بن الحكم:

إنّ اللعـين أبـــاك فـــارم عظامـــه   إنْ تــرم تـرم مخلجًا مجنونـا
يضحى خميص البطن من عمل التقى   ويَظَلُّ من عمل الخبيث بطينا

وكـان الحكم هذا يـقـال لـه: طريد رسـول الله ولعـينه، وهو والـد مـروان بن الحكم الذى صارت الخلافة إليه بالغلبة وتوارثها بنوه من بعده، وكان رجلاً لا فقه له، ولا يعرف بالزهد، ولا برواية الآثار، ولا بصحبة، ولا ببعد همَّة، وإنَّما ولى رستاقا من رساتيق داربجرد لابْن عامر، ثم ولى البحرين لمعاوية، وقد كان جمع أصحابه ومن تابعه ليبايع ابْن الزبير حتى رده عبيدالله بن زياد وقال يوم مرج راهط والرؤوس تنبذ عن كواهلها.

وماذا لهم غير حين النفو   س أى غلامى قريش غلب

وهذا كلام من لا يستحق أن يلى ربعًا من الأرباع ولا خمسًا من الأخماس.

فكان مـروان أول من شق عـصـا للإسـلام بغـيـر تأويل وقـال لخـالد بن يـزيد بن معاوية وأم خالد يومئذ عنده: اسكت يا ابن الرَّطبة فكان حتفه فى هذه الكلمة[٣٨].

وكتب عبدالملك بن مروان إلى محمد بن الحنفية: من عبدالملك أمير المؤمنين إلى محمد بن الحنفية، فلما نظر إلى عنوان الصحيفة استرجع وقال: الطلقاء ولعناء رسول الله (ص) على سائر الناس والذى نفسى بيده إنها لأمور لا يقرُّ قرارها.

---

(٣٨) لقى مروان حتفه على يد ام خالد خنقا بالوساده وقصته مشهورة فى كتب التاريخ. انظر أحداث عام ٦٥هـ.

ومنهم: عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن أمية أحد من عادى الله ورسوله إلى أن قتل ببدر كافرًا قتله حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه، وعتبة هذا هو أبو هند بنت عتبة التى لاكت كبد حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه، ثم لفظتها واتخذت مما قطعت منه مسكين ومعضدين وخدمتين وأعطت وحشيًا قاتل حمزة، حليًا كان عليها من ورق وجزع وخواتيم ورق كانت فى أصابع رجليها كل ذلك شماتة بحمزة رضى الله عنه من اجل انه قتل اباها عتبة رأس الكفر فى يوم بدر وقيل بل قتله عبيده بن الحارث بن عبدالمطلب وانشدت هند:

عينى جودا بدمع سرب   على خير خندف لم ينقلب
تداعى به رهطه قصرة   بنـو هاشـم وبنـو المطلب

وقيل: إنَّ عليًا لما فرغ من الوليد بن عتبة مال مع عبيدة على عتبة فقتلاه جميعًا، وهند هذه أمر رسول الله (ص) يوم فتح مكة بقتلها فأسلمت، ولما حضرت مع النساء لتبايع بيعة الإسلام كان مما قال لهن رسول الله (ص) ولا تقتلن أولادكن، فقالت ربيناهم يا محمد صغارًا وقتلتهم كبارًا. وهى أم معاوية بن أبى سفيان الذى قاتل على بن طالب رضى الله عنه واخذ الخلافة من الحسن بن على رضى الله عنه واستلحق زياد بن سمية من زنية واستخلف على الأمَّة ابنة يزيد القرود ويزيد الخمور[٣٩].

---

(٣٩) يزيد القرود ويزيد الخمور يقصد بهما ولع يزيد بالقرود وكان له قرد يلهو به مع سكره الدائم وعشقه للخمور. انظر سيرة يزيد فى كتب التاريخ. وانظر حوادث فتح مكة فى سيرة ابن هشام. وسيرة معاوية وتآمره على الحسن بدس السم له مشهورة بعد ان سلم له بالحكم شريطة ان يعود إليه بعد وفاته لكن معاوية اخترع ولاية العهد وأول ملكية فى الإسلام وجعل يزيد الفاسق يلى امر المسلمين من بعده ان تخلص من الحسن. انظر الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبدالبر وكتب التاريخ والتراجم.

ومنهم: الوليد بن عتبة بن ربيعة وقتل ببدر كافرًا قتله على رضى الله عنه، والوليد هذا هو خال معاوية.

ومنهم: شيبة بن ربيعة بن عبدشمس عم هند ام معاوية، وكان يجتمع مع قريش فيما تكيد رسول الله (ص) من الأذى وقتله الله يوم بدر فيمن قتل من أعدائه.

ومنهم: ابو سفيان صخر بن حرب بن امية قائد الأحزاب الذى قاتل رسول الله (ص) يوم احد وقتل من خيار اصحابه سبعين ما بين مهاجرى وانصارى، منهم اسد الله حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم، وقاتل رسول الله (ص) فى يوم الخندق ايضًا وكتب إليه:

«باسمك اللهم احلف باللات والعزى وساف ونائلة وهبل لقد سرت إليك اريد استئصالكم فاراك قد اعتصمت بالخندق فكرهت لقاءنا ولك منى كيوم احد».

وبعث بالكتاب مع أبى أسامة الجشمى فقراه على النبى (ص) أبى بن كعب رضى الله عنه فكتب إليه رسول الله (ص): «قد اتانى كتابك وقديمًا غرك يا احمق بنى غالب وسفيههم بالله الغرور، وسيحول الله بينك وبين ماتريد ويجعل لنا العاقبة، ولياتين عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى وساف ونائلة وهبل يا سفيه بنى غالب.

ولم يزل يحاد الله ورسوله حتى سار رسول الله (ص) لفتح مكة فاتى العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه رسول الله (ص) وقد اردفه وذلك انّه كان صديقه ونديمه فى الجاهلية، فلما دخل به على رسول الله (ص) سأله أن يؤمنه فلما رآه رسول الله (ص) قال له: ويلك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا إله إلا الله؟! فقال: بابى انت وامى

ما اوصلك واجملك واكرمك؛ والله لقد ظننت آنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئاً.

فقال: يا أبا سفيان الم يأن لك ان تعلم انى رسول الله؟ فقال: بأبى انت وامى ما اوصلك وأجملك واكرمك؛ أما هذه ففى النفس منها شىء.

فقال له العباس: ويلك إشهد بشهادة الحق قبل أن تضرب عنقك، فشهد واسلم، فهذا حديث إسلامه كما ترى.

واختلف فى حس إسلامه فقيل: إنَّه شهد حنينا مع رسول الله (ص)، وكانت الأزلام معه يستقسم بها، وكان كهفًا للمنافقين وإنَّه كان فى الجاهلية زنديقًا.

وفى خبر عبدالله بن الزبير أنَّه رآه يوم اليرموك قال: فكانت الروم إذا ظهرت قال ابو سفيان: إيه بنى الأصفر فإذا كشفهم المسلمون قال ابو سفيان:

وبنو الأصفر الملوك ملوك الر   وم لم يسبق منهم مذكور(٤٠)

فحدث به ابن الزبير اباه فلما فتح الله على المسلمين، فقال الزبير: قاتله الله يأبى إلا نفاقا أو لسنا خيرًا له من بنى الأصفر.

---

(٤٠) كان ابو سفيان من المؤلفة قلوبهم هو وولده معاوية واستمرا على ذلك حتى جاء عمر فالغى نصيب المؤلفة وعطل الحكم الشرعى فارتفع مقام ابو سفيان وولده. والحق أن [illegible] نه هو وولده لا تؤكد إسلامه. انظر سيرة ابن هشام وكتب التاريخ.

وذكر عبدالرازق عن ابن المبارك عن مالك بن مغول - بالغين - عن ابن أبجر قال: لما بويع لأبى بكر جاء ابو سفيان إلى على رضى الله عنه فقال:

اغلبك على هذا الأمر اقل بيت فى قريش، اما والله لأملأنّها خيلاً ورجالاً إن شئت؟

فقال علىّ: ما زلت عدوًا للإسلام واهله فما ضرَّ ذلك الإسلام واهله شيئًا[٤١].

وذكر المدائنى عن ابى زكريا العجلانى عن ابى حازم عن ابى هريرة قال: حج ابو بكر ومعه ابو سفيان بن حرب فكلم ابو بكر ابا سفيان فرفع صوته، فقال ابو قحافة: إخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب، فقال ابو بكر: يا أبا قحافة إنَّ الله بنى بالإسلام بيوتا كانت غير مبنية وهدم به بيوتا كانت فى الجاهلية مبنية، وبيت ابى سفيان مما هدم.

فليت شعرى بعد هذا بأى وجه يبنى بيت أبى سفيان بعدما هدمه الله؟!.

وروى عن الحسن: انَّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال:

«صارت إليك بعد تيم وعدى فادرها كالكرة واجعل اوتادها بنى اميّة فإنّما هو الملك ولا ادرى ما جنة ولا نار.

فصاح به عثمان قم عنى فعل الله بك وفعل.

---

(٤١) انظر حوادث سقيفة بنى ساعدة بعد وفاة النبى فى كتب التاريخ. وانظر السيف والسياسة للمعلق.

وأبو سـفـيـان هذا هو أبو مـعـاوية ولم يـزل بعـد إسـلامـه هو وابنه مـعـاوية من المؤلفة(٤٢).

ومنهم: معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن امية، وهو الذى جدع أنف حمزة ومثل به فيمن مثل، فلما انهزم يوم أحد دخل على عثمان بن عفان ليجيزه، وكان رسـول الله (ص) قد امر بطلبه فـأخرج مـن دار عـثمـان واتى به رسـول الله (ص) فوهبه لعـثمـان، واقسم لئن وجده بعد ثلاث بالمدينة وما حولها ليقتلن فجهزه عثمان وسار فى اليوم الرابع.

فقال رسـول الله (ص): إنّ معاوية أصبح قريبًا لم ينفذ فاطلبوه واقتلوه، فأصابوه فأخذه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فقتلاه، وقيل: بل قتله على رضى الله عنه(٤٣).

ومعاوية هذا هو أبو عائشة أم عبدالملك بن مروان، فعبد الملك بن مروان أعرق الناس فى الكفر، لأنّ احد أبويه الحكم بن أبى العاصى لعين رسول الله (ص) وطريده، والآخر معاوية بن المغيرة.

ومنهم: حمالة الحطب واسمها ام جميل بنت حرب بن امية كانت تحمل أغصان العضاة والشوك فتطرحها على طريق رسول الله (ص).

قاله الضحاك عن ابن عباس، فقال مجاهد: حمالة النميمة تحطب على ظهرها وإياها عنى الله تعالى بقوله فى سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

---

(٤٢) اى حتى جاء عمر.

(٤٣) انظر احداث غزوة احد فى سيرة ابن هشام وكتب التاريخ.

قيل: عنى أنّ فى جيدها سلسلة من نار، اى من سلاسل جهنم، والجيد: العنق، ولما نزلت سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤﴾.قالت امراة ابى لهب: قد هجانى محمد والله لأهجونّه، فقالت: مذممًا قلينا. ودينه ابينا. وامره عصينا.

واخذت فهرًا لتضربه به فأعشى الله عينها عنه وردّها بغيظها، ولم تزل على كفرها حتى هلكت(٤٤).

وما احد من هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم إلا وقد بذل جهده فى عداوة رسول الله (ص) وبالغ فى اذى من اتبعه وآمن به، ونالوا منهم من الشتم وانواع العذاب حتى فروا منهم مهاجرين إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة، واغلقت ابوابهم بمكة فباع ابو سفيان ابن حرب بعض دورهم وقضى من ثمنها دينا عليه.

وهموا بقتل رسول الله (ص) غير مرّة وتناظروا فى امره ليخرجوه من مكة أو يقيّدوه ويحبسوه حتى يهلك او يندبوا لقتله من كلّ قبيلة رجلاً حتى يتفرّق دمه فى القبائل.

وبالغ كل احد منهم فى ذلك بنفسه وما له واهله وعشريته، ونصب لرسول الله (ص) الحبائل بكل طريق سرًا وجهرًا ليقتله، فلما اذن الله له فى الهجرة وخرج من مكة ومعه صاحبه ابو بكر إلى غار ثور، جعلوا لمن جاء بهما او قتلهما ديتهما ويقال: جعلوا له مائة بعير، ونادوا بذلك فى اسفل مكة واعلاها.

كل ذلك حسدًا منهم لرسول الله (ص) وبغيًا ويأبى الله إلا تأييد رسول الله (ص)

---

(٤٤) انظر قصة حمالة الحطب فى سيرة ابن هشام وكتب التفسير. سورة اللهب.

وإعلاء كلمته حتى صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وظهر أمر الله وهم كارهون - كما ذكرت ذلك ذكرًا شافيًا فى كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع (ص) ولله در من قال:

عبد شمس قد اضرمت لبنى ها　　شم حربًا يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى وابن هند　　لعلىٍّ وللحسين يزيد

وما الأمر إلا كما قال الأخطل:

إنّ العداوة تلقاها وإن قدمت
كالعرّ يكمن احيانا وينتشر[٤٥]

﴿ فصل فى ذوي القربى ﴾

واقول: هذا رسول الله (ص) قد أبعد بنى امية عنه واخرجهم من ذوى قرباه - كما خرجه أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى فى كتاب فرض الخمس فقال:

«حدّثنا عبدالله بن يوسف حدّثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيّب عن جبير بن مطعم قال: مشيت انا وعثمان بن عفان إلى رسول الله (ص) فقلنا: يارسول الله أعطيت بنى المطّلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة، فقال رسول الله (ص): إنما بنو المطلب وبنو هاشم شىء واحد».

وقال الليث: حدّثنى يونس وزاد قال جبير: ولم يقسم النبى (ص) لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل.

---

(٤٥) العر - بفتح العين وضمها: الجرب. والبيت ورد فى الكامل وللمبرد جـ ٢/٣١٠. وانظر ديوان الأخطل.

قال: ابن إسحاق وعبد شمس وهاشم والمطلب إخوة لأم عاتكة بنت مرَّة وكان نوفل اخاهم لأبيهم.

وذكره البخارى فى مناقب قريش ايضًا وقال فى غزوة خيبر: حدَّثنا يحيى بن بكير حدَّثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيَّب انَّ جبير بن مطعم اخبره قال: اتيت انا وعثمان إلى النبى (ص) فقلنا: أعطيت بنى المطَّلب من خمس خيبر وتركتنا، ونحن وهو بمنزلة واحدة منك، فقال: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد، قال جبير ولم يقسم النبى (ص) لبنى عبد شمس وبنى نوفل شيئًا.

وقد خرج ابو داود هذا الحديث من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب قال: حدثنى جبير بن مطعم انَّ رسول الله (ص) لم يقسم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل من الخمس، كما قسم لبنى هاشم ولبنى المطلب.

قال: وكان ابو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله (ص) غير انَّه لم يكن يعطى قربى رسول الله (ص) كما كان يعطيهم رسول الله (ص)، وكان عمر يعطيهم ومن كان بعده منه(٤٦).

واعلم انَّ قوله عن ابى بكر : إنَّه لم يكن يعطى ذوى القربى كما كان النبى (ص) يعطيهم إنَّما هو مما كان (ص) يعود به عليهم من سهمهم، وكانت حاجة المسلمين أيام ابى بكر اشد لا انَّه منعهم الحق المفروض لهم الذى سماه الله تعالى ورسوله (ص) لهم فقد اعاذه الله من ذلك(٤٧).

---

(٤٦) الثابت ان حكم الخمس الذى كان يقسم لذوى القربى وهم بنى هاشم وبنى عبد المطلب قد عطل ولا زال معطلا. والطائفة الوحيدة التى تعمل به وتطبقه هى الشيعة.

(٤٧) انظر ملحق الكتاب وفيه تعليق على هذا الكلام.

وخرَّج ابو داود من طريق محمد بن إسحاق عن الزهرى عن سعيدبن المسيَّب قال، اخبرنى جبيرين مطعم قال، فلما كان يوم خيبر وضع رسول الله (ص) سهم ذى القربى فى بنى هاشم وبنى المطلب، وترك بنى نوفل وبنى عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى اتينا رسول الله (ص) فقلنا، يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذى وضعك الله به منهم فما بال إخواننا بنى المطلب أعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة؟

فقال رسول الله (ص)، إنّا وبنو المطلب لا نفترق فى جاهلية ولا إسلام وإنّما نحن وهم شىء واحد وشبك بين أصابعه .

وخرّجه إسحاق بن راهويه عن الزهرى عن ابن المسيَّب عن جبير مثل ما تقدّم، وفيه قال، فقسم رسول الله (ص) سهم خمس الخمس من القمح والتمر والنوى .

وقال الحسن بن صالح عن السدى فى ذى القربى، هم بنو عبد المطلب.

وخرج النسائى من حديث سفيان عن قيس بن مسلم قال، سألت الحسن بن محمد عن قوله تعالى،« واعلموا انّما غنمتم من شىء فإنّ لّله خمسه» قال، هذا مفتاح كلام ولّله الدنيا والأخرة.

قال، اختلفوا فى هذين السهمين بعد وفاة رسول الله (ص)، سهم الرسول، وسهم ذى القربى، فقال قائل، سهم الرسول للخليفة من بعده، وقال قائل، سهم ذى القربى لقرابة الرسول، وقال قائل سهم ذى القربى لقرابة الخليفة، فاجتمع رايهم على ان يجعلوا هذين السهمين فى الخيل والعدة فى سبيل الله، فكان ذلك فى خلافة أبى بكر وعمر(٤٨) .

---

(٤٨) يشير المقريزى هنا إلى تعطيل حكم الخمس وصرفه فى غير مصارفه الشرعية بتوجيه من الحكام.

وقد روى عن بعض طرق ابن إسحاق عن الزهرى عن ابن المسيَّب انَّ عثمان وجبير بن مطعم كلّما رسول الله (ص) فى سهم ذى القربى وقالا: قسَّمته بين بنى هاشم وبنى المطلب بن عبد مناف ونحن وبنو المطلب إليكم فى النسب سواء.

فقال رسول الله (ص): «إنّا وهم لما نزل فى الجاهلية شيئاً واحداً وكانوا معنا فى الشعب كذا» وشبك اصابعه.

وكان من حديث الشعب على ما ذكر محمدبن إسحاق وموسى بن عقبة فذكر ابن إسحاق ان النبى (ص) لما مضى على الذى بعث به وقامت بنو هاشم وبنو عبد المطلب دونه، وابوا أن يسلموه وهم من خلافة على مثل ما قومهم عليه إلا انهم انفوا ان يستذلوا ويسلموا اخاهم لمن فارقه من قومه، فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش الا سبيل إلى محمد (ص)، معهم اجمعوا على ان يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى المطلب الا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة فى ذلك وعلقوها بالكعبة.

ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديداً.

وقال ابن عقبة: وإجتمعت قريش فى مكرها ان يقتلوا رسول الله (ص) علانية فلما راى أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب وامرهم أن يدخلوا رسول الله (ص) شعبهم ويمنعوه ممن اراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم ومن فعله إيمانا ويقينا.

فلما عرفت قريش أنّ القوم منعوا رسول الله (ص) اجتمع المشركون من قريش واجمع رايهم: الا يجالسوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله (ص) للقتل، وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهودًا ومواثيق: أن لا يقبلوا من بنى هاشم أبدًا صلحًا، ولا تاخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل.

فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا تركوا طعامًا يقدم مكة ولا بيعًا إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله (ص)[٤٩].

وذكر ابن إسحاق القصة فى دخولهم الشعب، وما بلغوا من الجهد الشديد حتى كان يسمع اصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع، حتى كره عامة قريش ما اصابهم واظهروا كراهتهم لصحيفتهم الظالمة.

قال موسى بن عقبة: فلما كان راس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن بنى قصى، ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرّحم واستخفوا بالحق، واجمع امرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، وبعث الله عزّ وجلّ على صحيفتهم التى المكر فيها برسول الله (ص) الأرضة فلحست كلّ ما كان فيها من عهد وميثاق، فلم تترك اسمًا لله عز وجل فيها إلا لحسته، وبقى ما كان فيها من شرك او ظلم او قطيعة رحم.

واطلع الله عز وجل رسوله (ص) على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله (ص) لأبى طالب فقال ابو طالب: لا والثواقب ما كذبنى، وانطلق يمشى بعصابة من

---

(٤٩) انظر سيرة ابن هشام وهى شرح لسيرة ابن إسحاق.

بنى عبد المطلب حتى اتى المسجد وهو حافل من قريش فلما راوهم عامدين لجماعتهم انكروا ذلك وظنوا انهم خرجوا من البلاء فاتوهم ليعطوهم رسول الله (ص) فتكلم ابو طالب فقال:

قد حدثت امور بينكم لم نذكرها لكم فاتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها فلعلّه ان يكون بيننا صلح، وإنما قال ذلك خشية ان ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها فاتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون انَّ الرسول مدفوع إليهم فوضعوها بينهم وقالوا قد آن لكم ان تقبلوا وترجعوا إلى امر يجمع قومكم فانما قطعه بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطرًا لهلكه قومكم وعشيرتكم وفسادهم.

فقال ابو طالب إنما اتيتكم لأعطيكم امرًا لكم فيه نصف إنَّ ابن اخى قد اخبرنى فلم يكذبنى انَّ الله عز وجل برىء من هذه الصحيفة التى فى أيديكم ومحى لكل اسم له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم، فإن كان الحديث الذى قال ابن اخى كما قال فافيقوا فو الله لا نسلمنّه أبدًا حتى يموت من عند آخرنا، وإن كان قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتم او استحييتم قالوا قد رضينا بالذى تقول، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق (ص) قد اخبر خبرها فلما راتها قريش كالذى قال ابو طالب قالوا: والله إن كان هذا قط إلا سحرًا عن صاحبكم فارتكسوا وعادوا لشر ماكانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله (ص) والمسلمين والقيام بما تعاهدوا عليه، فقال اولئك النفر من بنى عبدالمطلب: إنَّ أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون وإنا نعلم انَّ الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا اقرب إلى الجبت والسحر من امرنا، ولولا انكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم طمس الله ما فيها من اسم له. وما كان من بغى تركه افنحن السحرة أم انتم؟

فقال النفر من بنى عبد مناف وبنى قصى ورجال من قريش ولدتهم نساء من بنى

هاشم منهم ابو البختري والمطعم بن عدى وزهير بن ابى امية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو، وكانت الصحيفة عنده فى رجال من اشرافهم ووجوههم: نحن براء مما فى هذه الصحيفة، فقال أبو جهل: هذا امر قضى بليل قال موسى بن عقبة: فلما افسد الله صحيفة مكرهم خرج رسول الله (ص) ورهطه فعاشروا وخالطوا الناس(٥٠).

فانظر رحمك الله كيف لم يجعل رسول الله (ص) القرابة فى النسب وحدها قرابة معتبرة فى احكام الله عز وجل ما لم تقترن بها القرابة الدينية فإنّه كما قد رايت اخرج بنى أمية من ذوى القربى مع كونهم بنى ابيه عبد مناف بن قصى لما كان من عداوتهم له فى دين الله تعالى وتكذيبهم لما جاء به من النبوة والرسالة.

وكيف جعل بنى المطلب بن عبد مناف من ذوى القربى لأجل مسالمتهم له فى الجاهلية وتسرعهم إلى مناصرته ومؤازرته وموالاته ومعاضدته وانهم لم يربؤوا بأنفسهم عن نفسه بل امدوه بأنفسهم حيث تخلى عنه الناس ودخلوا معه الشعب مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن دينا والكافر حمية.

وتأمل ذلك يظهر لك منه فائدتان.

إحداهما: انّ العبرة بقرابة الدين لا بقرابة الطين. والثانية: انّ مجرد القرابة ليس بشىء وقد قيل اقرب الوسائل المودة وابعد النسب البغضاء قال:

وأرى القرابة لا تقرب قاطعًا وارى المودة أكبر الأسباب

---

(٥٠) انظر المرجعين السابقين وانظر كتب التاريخ.

وقال الأعشى:

ولا تطلبنّ الود من متباعد ولا تأمنن ذى بغضة إن تقربا
فإنّ القريب من يقرب نفسه لعمر أبيك الخير لا من تنسبا

فإذا أقرب الوسائل المودة، وأبعد النسب العقوق، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات: ١٠. فقاربت ولاية الإسلام بين الغرباء.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ هود: ١١. فباعد به بين القرابة.

﴿فصل فى استحقاق بنى امية للخلافة﴾

ثم إنى اقول يا عجبًا كيف يستحق خلافة رسول الله (ص) على امته شرعًا من لم يجعل له حقًا فى سهم ذى القربى ام كيف يقيم دين الله من قاتل رسول الله (ص)، ونابذه وكايده وبذل جهده فى قتله وليت إذ ولى بنو امية الخلافة عدلوا وانصفوا بل جاروا فى الحكم وعسفوا واستأثروا بالفىء كلّه وحرموه بنى هاشم جملة وزادوا فى العتو والتعدى حتى قالوا إنما ذو القربى قرابة الخليفة منهم وحتى قرروا عند اهل الشام انه لا قرابة لرسول الله (ص) يرثونه إلا بنى امية، فلما قام بالأمر ابو العباس عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس المنعوت بالسفاح، وقتل مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم آخر خلائف بنى امية وازال دولتهم دخل عليه مشيخة من اهل الشام، فقالوا والله ما علمنا ان لرسول الله (ص) قرابة يرثونه إلا بنى امية حتى وليتم فقال إبراهيم بن مهاجر:

أيها الناس اسمعوا اخبركم عجبًا زاد على كل عجب
عجبًا من عبد شمس إنَّهم فتحوا للناس ابواب الكذب
ورثوا احمد فيما زعموا دون عباس وعبدالمطلب
كذبوا ولله ما نعلمه يحرز الميراث إلا من قرب

وحتى صعد الحجاج بن يوسف يومًا اعواد منبره وقال على رؤوس الأشهاد: ارسولك افضل ام خليفتك؟ يعرض بأنَّ عبدالملك بن مروان بن الحكم افضل من رسول الله (ص) فلما سمعه جبلة بن زحر قال: لله على الاصلى خلفه ابدًا وإن رايت من يجاهده لأجاهدنه معه، فخرج مع عبدالرحمن بن الأشعث وقتل معه.

ولقد اقتدى بعدو الله الحجاج فى كفره ابن شقى الحميرى: فإنه قام بمجلس هشام بن عبدالملك، وقال امير المؤمنين خليفة الله وهو اكرم على الله من رسوله فأنت خليفة ومحمد رسول الله، وحتى ان يوسف بن عمر عامل هشام قال فى خطبته يوم الجمعة إنَّ أول من فتح على الناس باب الفتنة وسفك الدماء عليٌّ وصاحبه الزنيجي يعنى عمار بن ياسر رضى الله عنه، فهذا كما ترى وإلى الله المشتكى.

وقد خرج الحاكم من حديث سفيان عن ابى إسحاق عن عمر وذى مر عن على بن ابى طالب رضى الله عنه فى قوله عز وجل: «**وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**» [إبراهيم: ٢٨] قال: هما الافجران من قريش بنو امية وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوم بدر، واما بنو أمية فمتعوا إلى حين.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح.

وسئل على رضى الله عنه عن بنى امية وبنى هاشم فقال هم اكثر وانكر وامكر، ونحن أفصح واصبح وأسمح.

وقال ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا حشرج بن نباتة قال حدثنى سعد بن جمهان قلت لسفينة ان بنى امية يزعمون ان الخلافة فيهم، فقال كذب بنو الزرقاة بل هم ملوك من اشد اشد الملوك وأول الملوك معاوية.

وما زلت طول الأعوام الكثيرة أعمل فكرى فى هذا وأشباهه التى يطول ذكرها واذاكر به من ادركت من مشيخة العلم ومن لقيت من حملة الآثار ونقلة الأخبار فلا أجد فى طول عمرى سوى رجلين: إما رجل عراه ما عرانى وساءه ماقد دهانى فهو يحذو فى المقال حذوى ويشكو من الألم شكواى.

وإما رجل يرتع فى ميدان تقليده ويجول فى عرصات تهوره وتفنيده، فلا يزيدنى على التهويل والهدر الطويل إلى أن اتضح لى والحمد لله وحده سبب أخذ بنى أمية الخلافة ومنعها بنى هاشم، وذلك ان اعجاز الأمور لا تزال أبدًا تالية لصدورها، وإلا سافل من كل شىء تابعة لأعاليها وكل امر كان خافيًا إذا انكشف سببه زال التعجب منه، وما بعد على من سبب اخذ بنى امية الخلافة وتقدمهم فيها على بنى هاشم إلا من أجل الاعراض عن الاعتناء بتعرف أوائل ذلك، وقلة البحث عن غوامضه وإن الشىء لم يوضع فى مواضعه وإنما سلك فيه الكافة إلا قليلاً مذهب التعصب.

﴿فصل فى عمال الرسول (ص) من بنى امية﴾

والواجب على العاقل بعد معرفة ماخفى من السبب الاذعان والتسليم وترك الاعتراض فماذا بعد الحق إلا الضلال وذلك انه لا خلاف بين ائمة الحديث ونقاد

الأخبار وعلماء السير والآثار، ان الرسول (ص) توفى وعامله على مكة ابو عبدالرحمن عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن امية بن عبد شمس القرشى الأموى، احد من أسلم يوم فتح مكة وانه لم يزل على مكة منذ فتحها الله على رسوله (ص) عام ثمان من الهجرة إلى ان توفاه الله عز وجل فأقر ابو بكر عتابًا حتى ماتا فى يوم واحد.

وكان (ص) قسم اليمن بين خمسة رجال خالد بن سعيد على صنعاء والمهاجر بن ابى امية على كندة وزياد بن لبيد على حضرموت ومعاد بن جبل على الجند، وابا موسى الأشعرى على زبيد ورمع وعدن، فكان عامل رسول الله (ص) على صنعاء اليمن كما تقدم خالد بن سعيد بن العاصى ين امية بن عبد شمس بعثه (ص) إليها سنة عشر من الهجرة، وقد مات باذام ليكون على صدقات اليمن، فتوفى رسول الله (ص) وخالد على اليمن.

وكان ابان بن سعيد بن العاصى بن امية على البحرين برها وبحرها منذ عزل العلاء بن الحضرمى حليف بنى امية، وقيل بل مات رسول الله (ص) والعلاء على البحرين وكان عمرو بن سعيد بن العاصى بن امية على ايماء وخيبر وتبوك وفدك، فلما توفى رسول الله (ص) رجع خالد بن سعيد وابان وعمرو عن عمالتهم.

فقال ابو بكر ما لكم رجعتم عن عمالتكم ما احد احق بالعمل من عمال رسول الله (ص) ارجعوا إلى أعمالكم فقالوا نحن بنو أبى احيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله (ص) ابدًا، ثم مضوا إلى الشام وقاتلوا فقتلوا فى مغازيها، فيقال ما فتحت بالشام كورة من كور الشام إلا وجد عندها رجل من بنى سعيد بن العاصى ميتا.

وكان ابو سفيان بن حرب بن امية على نجران فمات رسول الله (ص) وهو عليها

وقيل بل كان على نجران لما توفى رسول الله (ص) وعمرو بن حزم بن زيد بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارى.

قال الواقدى عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه عن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أنه قال توفى رسول الله (ص) واربعة من بنى امية عماله عتاب بن اسيد على مكة، وأبان بن سعيد بن العاصى على البحرين وخالد بن سعيد على صنعاء، وابو سفيان بن حرب على نجران(٥١).

قال الواقدى: اصحابنا مجمعون على ان رسول الله (ص) قبض وابو سفيان حاضر.

وقال ابن الكلبى: كان ابو سفيان غائبًا فلما قدم قال: كيف رضيتم يا بنى عبد مناف ان يلى امركم غيركم وقوم يقولون ان رسول الله (ص) ولى ابا سفيان صدقات خولان ونخلة وولى يزيد بن ابى سفيان على نجران والله أعلم.

وكان على جرش سعيد بن القشب الأزدى حليف بنى امية، فمات رسول الله (ص) وهو عليها وكان المهاجرين امية بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم المخزومى اخو ام سلمة ام المؤمنين رضى الله عنها على صدقات كندة والصدف، ثم ولاه ابو بكر اليمن.

وكان عمرو بن العاصى بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم السهمى حين وفاة

---

(٥١) انظر التعليق على هذا الكلام فى الملحق. والواقدى هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمى ولى قضاء بغداد له المغازى والسير توفى عام ٢٠٧هـ.

رسـول الله (ص) على عـمـان بعدمـا بعثـه النبى (ص) على سـرية نحـو الشـام إلى اخـوال أبيـه العـاصـى بن وائل من بلى يدعـوهم إلى الإسـلام ويسـتنفـرهم إلى الجـهـاد، ثم امده رسـول الله (ص) بجيش فيه ابو بكر وعمـر وابو عبيدة بن الجـراح رضى الله عنهم فصلوا خلفه(٥٢).

ثم عـمل عـمـرو بن العـاصـى بعد رسـول الله (ص) لعـمـر بن الخطاب وعثـمـان بن عفـان، وكان على الطائف عثمـان بن ابى العـاصـى بن بشر بن عـبد دهمـان الثقفى ومات رسـول الله (ص) وهو عليها.

فـإذا كـان رسـول الله قـد أسس هذا الأسـاس واظهـر بنى أمـيـة لجـمـيع الناس بتـوليتهم أعمـاله فيمـا فتح الله عليه من البلاد كيف لا يقوى ظنهم ولا ينبسط رجـاؤهم ولا يتحد فى الولاية أملهم؟.

ام كـيف لا يضـعف امل بنى هاشم وينقـبض رجـاؤهم ويقـصـر املهم وكـبيـراهم العبـاس بن عـبدالمطلب وابن اخيـه على بن ابى طالب رضى الله عنهمـا يريد احـدهمـا استـعلام رسـول الله (ص) فـى مـرض مـوته عن هـذا الأمـر هل هو فـيـهم ام فى غـيـرهم ويأبى الأخر ذلك.

كمـا أخـرج البـخـارى من حـديث الزهرى قـال أخـبـرنى عـبدالله بن كعب بن مـالك الأنصـارى أن عـبدالله بن عبـاس آخبـره أن علـى بن أبى طالب رضى الله عنه خـرج من عند رسـول الله (ص) فى وجعه الذى توفى فيه، فـقال النـاس يا أبـا الحسن كيف أصبح -

---

(٥٢) الغـزوة المشـار إليـهـا هنا هى غـزوة ذات السـلاسل. انظر سـيـرة ابن هـشـام والبـخـارى كـتـاب الفضائل باب فضائل ابى بكر وشرح الحديث فى فتح البارى جـ ٧.

رسول الله (ص) قال أصبح بحمد الله بارئا فأخذ بيده عباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه فقال له انت والله بعد ثلاث عبد العصا وانى والله لأرى رسول الله (ص) يتوفى من وجعه هذا وإنى لا أعرف وجوه بنى عبدالمطلب عند الموت اذهب بنا إلى رسول الله (ص) فلنسأله فى هذا الأمر إن كان فينا علمنا ذلك وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا، فقال على إنا والله لئن سألناها رسول الله (ص) فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده وإنى والله لا أسألها من رسول الله (ص)[٥٣].

ورواه محمد بن إسحاق عن الزهرى إلا انه لم يذكر ما قال فى العصا، وزاد فى آخره فتوفى رسول الله (ص) حين اشتد الضحى من ذلك اليوم.

وفى رواية: وخلا العباس بعلى، فقال له: هل تعلم ان رسول الله (ص) اوصى إلى غيرك بشىء؟ فقال على: اللهم لا، فخرج العباس على بغلة له حتى اتى عسكر اسامة بن زيد فلقى أبا بكر وعمر وغيرهما، فقال: هل أوصاكم رسول الله (ص) بشىء قالوا: لا، فرجع إلى على فقال: إن رسول الله (ص) مقبوض فامدد يدك ابايعك، فيقال عم رسول الله (ص) بايع ابن عم رسول الله ويبايعك أهل بيتك فإن مثل هذا الأمر لا يؤخر فقال: يرحمك الله ومن يطلب هذا الأمر غيرنا يا عم؟

وفى رواية أن العباس قال لعلى هلم يدك ابايعك، فقال إن لى برسول الله شغلا ومن ذاك الذى ينازعنا هذا الأمر؟

ورواية البخارى وعبدالرزاق اثبت، وقال ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر حدثنى محمد بن عبدالله بن اخى الزهرى، قال سمعت عبدالله بن حسن يحدث عمى الزهرى

---

(٥٣) انظر كتب التاريخ فترة وفاة النبى (ص) وسيرة ابن هشام.

يقول حدثتنى فاطمة بنت الحسين قالت لما توفى رسول الله (ص) قال العباس يا على قم حتى ابايعك ومن حضر فإن هذا الأمر إذا كان لم يرد مثله، والأمر فى ايدينا.

فقال على واحد يطمع فيه غيرنا.

فقال العباس، اظن والله سيكون.

فلما بويع لأبى بكر ورجعوا إلى المسجد سمع على التكبير. فقال: ما هذا؟ فقال العباس هذا ما دعوتك إليه فابيت على؟ فقال على: أيكون هذا؟ فقال العباس مارد مثل هذا قط.

فقال محمد بن عمر الواقدى قد خرج أبو بكر من عند النبى (ص) حين توفى وتخلف عنده على والعباس والزبير، فذلك حين قال العباس هذه المقالة، واخرجه عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى بمعناه، قال عبدالرزاق وكان معمر يقول لنا أيهما كان أصوب عندكم رأيًا فنقول: العباس فيأبى ثم قال: لو أن عليًا سأله عنها فأعطاه إياها فمنعه الناس كانوا قد كفروا.

قال عبدالرزاق فحدثت به ابن عيينة فقال: قال الشعبى لو أن عليًا سأله عنها كان خيرًا له من ماله وولده.

وروى إسماعيل بن خالد عن الشعبى قال: قال العباس لعلى رضى الله عنهما حين مرض النبى (ص) إنى اكاد أعرف فى وجه رسول الله (ص) الموت فانطلق بنا إليه نسأله من يستخلف فإن استخلف منا فذاك وإلا أوصى بنا، فقال على للعباس: كلمة

فيها جفاء فلما قبض النبى (ص) قال العباس لعلى: ابسط يدك فلنبايعك فقبض يده قال الشعبى لو ان عليًا أطاع العباس كان خير له من حمر النعم(٥٤).

﴿فصل فيما ورد فى بنى امية﴾

وقد رويت مع هذا الحديث احاديث اخرى إن كانت صحيحة فلا سبيل إلى ردها وإن كانت مفتعلة فقد صارت داعية إلى الأمر الذى وقع النزاع فيه وطال الخصام عليه.

منها ما رواه ابن الكلبى عن الحكم بن هشام الثقفى قال مات عبيدالله بن جحش عن ام حبيبة بنت ابى سفيان وكانت معه بأرض الحبشة فخطبها (ص) إلى النجاشى فدعا بالقريشين، فقال: من أولاكم بأمر هذه المراة؟

فقال خالد بن سعيد بن العاصى انا اولاهم بها قال فزوج نبيكم، قال فزوجه ومهر عنه النجاشى اربعمائة دينار، فكانت اول امراة مهرت اربعمائة دينار وحملت إلى النبى (ص) ومعها الحكم بن أبى العاص فجعل النبى (ص) يكثر النظر إليه.

فقيل يا رسول الله إنك لتكثر النظر إلى هذا الشاب.

فقال إليس ابن المخزومية؟

قالوا: بلى.

قال: إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً كان الأمر فيهم(٥٥).

وكان مروان بن الحكم إذا جرى بينه وبين معاوية بن ابى سفيان كلام قال لمعاوية إنى والله لأبو عشرة واخو عشرة وعم عشرة وما بقى إلا عشرة حتى يكون الأمر فى، فيقول معاوية اخذها والله من عين صافية فهذا الحديث كما تسمع.

---

(٥٤) انظر تطهير الجنان واللسان.

(٥٥) رواه البزار: إذا بلغ بنو ابى العاص ثلاثين رجلاً.

وقد روى ابو بكر بن ابى شيبة من حديث عبدالله بن عمير، قال: قال معاوية ما زلت اطمع فى الخلافة مذ قال رسول الله (ص) إن ملكت يا معاوية فاحسن(٥٦).

قال وكيع عن الأعمش عن ابى صالح قال: كان الحادى يحدو بعثمان رضى الله عنه ويقول:

إن الأمير بعده على وفى الزبير خلف رضى

فقال كعب الأحبار بل هو صاحب البغلة الشهباء يعنى معاوية فبلغ ذلك معاوية فاتاه، فقال يا ابا إسحاق ما تقول هذا وها هنا على والزبير واصحاب محمد (ص) قال انت صاحبها.

وقد جاء من طرق عن ابى هريرة ان رسول الله (ص) قال: «رأيت فى النوم بنى الحكم او بنى ابى العاص ينزون على منبرى كما تنزوا القردة» قال: فما رؤى النبى (ص) مستجمعًا ضاحكا حتى توفى(٥٧).

وعن سعيد بن المسيب قال: راى النبى (ص) بنى امية على منابرهم فساءه ذلك فأوحى إليه إنما هى دنيا اعطوها فقرت عينه وهى قوله تعالى: «**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ**» [الإسراء: ٦٠].

يعنى بلاء للناس وقد روى ان رجلا قام إلى الحسن بن على رضى الله عنهما فقال

---

(٥٦) انظر الإصابة ترجمة معاوية.

(٥٧) انظر تطهير اللسان.

(يامسود وجوه المؤمنين) فقال: لا تؤنبنى رحمك الله فإن رسول الله (ص) قد راى بنى امية يخطبون على منبره رجلا رجلاً فساءه ذلك فنزلت ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ - والكوثر نهر فى الجنة - ونزلت ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعنى تملك بنى امية فحسب ذلك فإذا هو لا يزيد ولا ينقص.

وعن ابى هريرة وابى سعيد الخدرى ان رسول الله (ص) قال إذا بلغ بنو أبى العاصى أربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلاً وعباد الله خولا ومال الله دولاً.

قال الزبير بن بكار قال عمى مصعب عن عبدالله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير او غير عبدالله وحدثنيه محمد بن الضحاك الحزامى عن ابيه أن عمرو بن عثمان بن عفان اشتكى وكان العواد يدخلون عليه فيخرجون وتخلف مروان بن الحكم عنده فيطيل فانكرت رملة بنت معاوية ذلك وهى امراة عمرو بن عثمان فخرقت كوة واستمعت على مروان فإذا هو يقول لعمرو ما أخذ هؤلاء الخلافة إلا باسم أبيك فما يمنعك أن تنهض بحقك فنحن اكثر منهم رجالاً منا فلان ومنهم فلان ومنا فلان ومنهم فلان حتى عدد رجالاً، ثم قال ومنا فلان وهو فضل وفلان وهو فضل حتى يعدد فضول رجال بنى ابى العاص على بنى حرب فلما برأ عمرو تجهز للحج وتجهزت رملة فى جهازه، فلما خرج عمرو إلى الحج خرجت رملة إلى ابيها فقدمت عليه الشام فقال لها معاوية واسواتاه وما للحرة تطلق طلقك عمرو فأخبرته الخبر وقالت وما زال يعد فضل رجال بنى ابى العاص على بنى حرب حتى إبنى عثمان وخالد بن عمرو فتمنيت انهما ماتا فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم:

أواضع رجل فوق أخرى تعدنا ... عديد الحصى ما أن تزال تكاثر
وامكم تزجى توأمًا لبعلها ... وأم أخيكم نزرة الولد عاقر

واشهد يا مروان انى سمعت رسول الله (ص) يقول، إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً ودين الله دخلاً وعباد الله خولاً فكتب إليه مروان، اما بعد يا معاوية فإنى أبو عشرة وعم عشرة والسلام.

وروى عن معاوية انه قال لعبدالله بن عباس رضى الله عنهما انشدك الله يابن عباس اما تعلم ان رسول الله (ص) ذكر هذا - يعنى مروان بن الحكم - فقال ابو الجبابرة الأربعة فقال ابن عباس اللهم نعم.

﴿فصل الخلفاء وبنى امية﴾

وقد اقتدى برسول الله (ص) فى ولاية الأعمال أبو بكر فإنه لما استخلف بعد رسول الله (ص) وارتدت العرب قطع البعوث وعقد احد عشر لواء على أحد عشر جنداً فعقد لخالد بن الوليد المخزومى وبعثه لقتال طليحة بن خويلد الأسدى ثم مالك بن نويرة وعقد لعكرمة بن أبى جهل المخزومى وبعثه لقتال مسليمة بن ثمامة بن المطوح بن ربيعة الحارث وعقد للمهاجر بن أبى أمية المخزومى وبعثه لقتال جنود الأسود بن كعب ابن عوف العنسى ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح.

وعقد لخالد بن سعيد العاصى بن أمية وبعثه إلى مشارف الشام.

وعقد إلى عمرو بن العاص وبعثه إلى قضاعة وعقد لحذيفة بن محصن العلقانى من علقان بن شرحيل بن عمرو بن مالك بن يزيد ذى الكلاح وبعثه إلى اهل دبا، وهى مدينة قديمة من مدن عمان.

وعقد لعرفجة بن هرثمة وبعثه إلى مهرة وبعث شرحبيل بن حسنة فى اثر عكرمة ابن ابى جهل فإذا فرغ من اليمامة لحق قضاعة.

وعقد لطريفة بن حاجم وبعثه إلى بنى سليم ومن معهم من هوزان وعقد لسويد ابن مقرن بن عائذ المزنى، وبعثه إلى تهامة اليمن.

وعقد للعلاء بن الحضرمى وبعثه إلى البحرين فلحق كل امير بجنده حتى انقضت حروب الردة، فبعث ابو بكر خالد بن الوليد لفتح العراق واردفه بغيلان ابن غنيم بن زهير بن ابى شداد بن ربيعة هلال بن وهيب الفهرى وامدهما بالقعقاع بن عمرو وجهز الجنود إلى الشام فبعث خالد بن سعيد بن العاصى وأردفه بذى الكلاع وعكرمة بن أبى جهل وعمرو بن العاصى والوليد بن عقبة وعقد ليزيد بن ابى سفيان بن حرب على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه وجهزه عوضًا عن خالد بن الوليد.

وعقد لأبى عبيدة بن الجراح وبعثه إلى حمص، وامد يزيد بن أبى سفيان بأخيه معاوية بن ابى سفيان ومعه جيش فنزل ابو عبيدة الجابية، ونزل يزيد البلقاء، ونزل شرحبيل بن حسنة الأردن، وقيل بصرى، ونزل عمرو بن العاص القريات.

ولما مات أبو بكر واستخلف من بعده عمرو بن الخطاب كانت عماله على مكة نافع بن عبدالحارث الخزاعى، وعلى الطائف عثمان بن أبى العاص بن أمية، ثم سفيان بن أبى عبدالله الثقفى، وعلى اليمن يعلى بن منبه، وعلى عمان واليمامة حذيفة بن محصن، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمى، ثم عثمان بن ابى العاص، وعلى الكوفة سعد بن ابى وقاص، ثم المغيرة بن شعبة، ثم عمار بن ياسر، ثم أبو موسى الأشعرى وعلى البصرة المغيرة بن شعبة، ثم أبو موسى الأشعرى، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح، ثم يزيد بن ابى سفيان، ثم معاوية بن ابى سفيان وعلى الجزيرة عياض بن غنم وعلى مصر عمرو بن العاص.

فانظر كيف لم يكن فى عمال رسول الله (ص) ولا فى عمال ابى بكر وعمر احد من بنى هاشم فهذا وشبهه هو الذى حدد أنياب بنى امية وفتح ابوابهم وأترع كاسهم وفتل امراسهم حتى لقد وقف أبو سفيان بن حرب على قبر حمزة رضى الله عنه فقال رحمك الله ابا عمارة لقد قاتلتنا على امر صار إلينا(٥٨).

وروى ان الأمر لما افضى إلى عثمان بن عفان اتى ابو سفيان قبر حمزة فركله برجله، ثم قال: يا حمزة إنّ الأمر الذى كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم وكنا احق به من تيم وعدى.

قال كاتبه: وما هى إلا الدنيا وإنّ الدين لعارض فيها والعاجلة محبوبة، وبهذا ارتفعت رؤوس وضعفت نفوس فإن دلائل الأمور تسبق وتباشير الخير تعرف ولله فى خلقه قضاء يمضيه ويأبى الله ان يتم شىء من أمر الدنيا إلا ويعتريه النقص.

﴿فصل اختصاص بنى هاشم﴾

لما كانت بنو هاشم من قريش اختصها الله سبحانه بهذا الأمر أعنى الدعوة إلى الله تعالى والنبوة والكتاب فحازت بذلك الشرف الباقى وكانت احوال الدنيا من الخلافة والملك ونحوه زائلة لهذا ازواها الله تعالى عنهم تنبيهًا على شرفهم وعلو مقدارهم فإن ذلك هو خيرة الله لنبيه محمد (ص) كما ثبت انه (ص) لما خير اختار ان يكون نبيًا عبدًا ولم يختر أن يكون نبيًا ملكا، وسأل مثل ذلك لآله كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث عمارة عن أبى زرعة عن ابى هريرة قال: قال رسول الله (ص) اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا.

وروى أبو عيسى الترمذى حديث عبيدالله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم أبى عبد الرحمن عن ابى امامة عن النبى (ص) قال: عرض على ربى ليجعل لى بطحاء

---

(٥٨) انظر التعليق على هذا الكلام فى الملحق.

مكة ذهبًا قلت لا يارب ولكن اشبع يومًا واجوع يومًا، او قال ثلاثا، أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك، وقال الترمذى: هذا حديث حسن.

واخرج البخارى من حديث ابن ابى ليلى حدثنا على رضى الله عنه أن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن فبلغها ان رسول الله (ص) اتى بسبى فاتته تسأله خادمًا فلم توافه فذكرت لعائشة فجاء النبى (ص) فذكرت ذلك عائشة له فاتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم، فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى فقال الا ادلكما على خير مما سألتما إذا اخذتما مضاجعكما، فكبرا اربعًا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين فإن ذلك خير لكما مما سألتما.

واخرجه مسلم ايضًا ولأبى داود من حديث أبى الورد عن على بن أعبد قال: قال لى على رضى الله عنه الا احدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله (ص) وكانت من احب اهله إليه، قلت بلى، قال فإنها جرت بالرحى حتى اثر فى يدها واستقت بالقربة حتى اثر فى نحرها وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها فأتى النبى (ص) خدم فقلت لو اتيت اباك فسألتيه خادمًا؟ فاتته فوجدت عنده حداثا فرجعت فاتاها من الغد فقال: ماكان حاجتك فسكنت فقلت: انا أحدثك يا رسول الله جرت الرحى حتى أثرت فى يدها، وحملت القربة حتى اثرت فى نحرها فلما أن جاء الخدم امرتها أن تأتيك فتستخدمك خادمًا تقيها حر ما هى فيه، فقال اتقى الله يا فاطمة وادى فريضة ربك واعملى عمل اهلك. فإذا اخذت مضجعك فسبحى ثلاثا وثلاثين، واحمدى ثلاثا وثلاثين، وكبرى اربعًا وثلاثين، فهى خير لك من خادم. قالت رضيت عن الله وعن رسوله.

وفى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث عامر بن سعد عن ابيه عن النبى (ص) انه قال: إنى لأعطى الرجل وغيره احب إلى منه خشية ان يكب فى النار على وجهه.

وفى رواية: فـو الله إنـى لأعطى الرجل وادع الرجل والذى ادع احب إلـى من الذى اعطى ولكنى اعطى اقوامًا لما ارى فى قلوبهم من الجزع والهلع فـأكل اقوامًا إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخيـر ومن حـديث انس بن مـالك عن النبى (ص) (انـه قـال) فإنى اعطى رجالا حديثى عهد بكفر اتالفهم.

وروى ابن وهـب من عـمـرو بن الحــارث أن بكر بن ســوادة حـدثه ان أبا ســالم الجيشـانى حدثه عن ابى ذر ان رسول الله (ص) قال له: كيف ترى جعيـلا - جعيل بن سراقه؟

قـال: قلت كشكله من الـناس قال: فكيف ترى فلانًا قلت سيدًا من سـادات الناس، قال: فـجعيل خيـر من ملء الأرض ذهبًا او الفًا ونحو ذلك من فـلان، قال: قلت يـا رسـول الله ففلان هكذا وانت تصنع به ما تصنع قال إنه راس قومه وانا اتالفهم به.

قـال جامعه وهذا على بن إبى طالب رضى الله عنه كان يعلم أن رسـول الله (ص) يرياً ببنى هـاشم من ولاية الأعـمـال كما ثبت فى مسلم وغيـره من حديث مـالك عن ابى شهاب أن عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب حدثه أن عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث حدثه.

قال: اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبدالمطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغـلامين (قال لى وللفضل بن العبـاس) إلى رسـول الله (ص) فكلماه فـأمرهمـا على هذه الصدقات فأديا ما يؤدى الناس واصابا مما يصيب الناس.

قال فبيناهما فى ذلك جاء على بن ابى طالب رضى الله عنه فوقف عليهما فذكر له ذلك، فقال لا تفعلا فو الله ماهو بفاعل فانتحاه ربيعة بن الحارث، فقال: والله ما تصنع هذا إلا نفاسة منك علينا فو الله لقد نلت صهر رسول الله (ص) فما نفسناه عليك.

قال على: ارسلوهما، فانطلقا واضطجع.

فلما صلى رسول الله (ص) الظهر سبقناه إلى الحجرة فقمنا عندها حتى جاء فاخذ بآذاننا ثم قال: اخرجا ما تسران، ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش.

قال: فتواكلنا الكلام، ثم تكلم احدنا، فقال: يا رسول الله أنت ابر الناس واوصل الناس وقد بلغنا النكاح - اى الحلم - فجئنا لتؤمّرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدى إليك كما يؤدى الناس، ونصيب كما يصيبون.

فسكت طويلاً حتى اردنا أن نكلمه وجعلت زينب تلمع إلينا من وراء الحجاب ان لا تكلماه.

قال ثم قال إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد إنما هى أوساخ الناس ادعو إلي محمية وكان على الخمس ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب فجاءا، فقال لمحمية انكح هذا الغلام ابنتك للفضل بن العباس فانكحه.

وقال لنوفل بن الحارث انكح هذا الغلام ابنتك لى فانكحنى.

وقال لمحمية اصدق عنهما من الخمس كذا وكذا.

فهذا أعزك الله وإن كان إنما فيه منع بنى هاشم من تناول الصدقة لأنها محرمة عليهم فإن رسول الله (ص) إنما كانت أعماله التى يستعمل عليها عماله على قسمين: إما للحرب او على الصدقات فمنع رسول الله (ص) بنى هاشم من العمل على الصدقة بنصيب العامل وهو الصحيح أنهم لا يستعملون عليها تنزيهًا لهم ولبنى المطلب عن اوساخ الناس لكرامتهم.

وقد كان غير واحد من فضلاء الصحابة رضى الله عنهم يعلمون ان آل البيت ارفع قدرًا عند الله من أن يبتليهم بأعمال الدنيا منهم عبدالله بن عمر بن الخطاب لما خرج الحسين بن على رضى الله عنهما يريد العراق وقد كتبت إليه شيعته وحثوه على مسيره إليهم ليقوم بأمر الأمة بدل يزيد بن معاوية لحقه عبدالله على مسيرة ليلتين، وقال: أين تريد؟

قال: العراق.

قال لاتأتهم.

قال: هذه كتبهم وبيعتهم.

فقال إن الله عز وجل خير نبيه (ص) بين الآخرة والدنيا فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا وإنك بضعة من رسول الله (ص) والله لا يليها احد منكم وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم فارجع.

فأبى الحسين وقال هذه كتبهم وبيعتهم.

فأعتنقه عبدالله بن عمر وقال استودعك الله من قتيل فكان كما قال ابن عمر(٥٩).

---

(٥٩) مثل هذه الرواية المشهورة فى كتب التاريخ تريد التاكيد على ان الحسين خرج طلبًا للحكم والإمارة ولم يكن الأمر كذلك فما قام به الحسين هو ثورة كان الهدف منها إعادة الصورة الحقيقية للإسلام وتثبيته على ساحة الواقع بعد ان شوهه معاوية وولده وعزلوه عن الواقع وعزلوا المسلمين عنه. انظر الملحق.

وكذلك قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما للحسين، والله يا ابن اخى ماكان الله ليجمع لكم بين النبوة والخلافة وهذا من فقههما.

وقد اشار الحسن بن على رضى الله عنهما إلى ذلك فى خطبته لما ترك الخلافة التى صارت إليه بعد ابيه وتنزه عنها وترفع عن منازعة معاوية فلما دخل معاوية الكوفة اشار عليه عمرو بن العاصى ان يأمر الحسن فيخطب الناس ظنا منه انه يعيا فخطب معاوية، ثم اشار إلى الحسن ان يخطب فقام فحمد الله.

ثم قال: (أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول وإن الله عز وجل قال لنبيه (ص) «**وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ**» [الأنبياء: ١١١] فلما قالها قال معاوية اجلس وحقدها على عمرو، وقال: هذا من رأيك فصدق الحسن فيما قاله.

﴿فصل فى خروج الخلافة﴾

ذهب بعضهم إلى ان السر فى خروج الخلافة بعد رسول الله (ص) عن على بن ابى طالب إلى ابى بكر وعمر ثم عثمان ان عليًا لو ولى الخلافة حينئذ وهو أبو الحسنين لأوشك ان يقول قائل ويتخيل متخيل انه ملك متوارث لا يكون إلا فى اهل البيت كما تزعمه الرافضة فصان الله العقائد من هذه الشبهة كما صانها من شبهة قول القائل عن النبى (ص) هو رجل يطلب ملك ابيه وهو معنى حسن ولهذا السر جعل (ص) الخلافة لعامة قريش ولم يختص بها اهل بيته بل ولا بنى هاشم حتى لا يتخيل انه ملك متوارث والله أعلم(٦٠).

---

(٦٠) انظر التعليق على هذا الكلام فى الملحق.

وقد ظهر لى ان ولاية رسول الله (ص) بنى امية الأعمال كانت إشارة منه (ص) إلى ان الأمر سيصير إليهم ولى بحمد الله فى هذا النحو خير سلف واجل قدوة منهم سعيد بن المسيب رحمه الله.

قد ثبت فى البخارى ومسلم من حديث ابى موسى الأشعرى فى حديث جلوس رسول الله (ص) على بئر اريس ودخول ابى بكر وعمر وجلوسهما عن يمينه وشماله معه (ص) فى القب ودخول عثمان بن عفان وجلوسه تجاههم من الشق الآخر وان سعيد بن المسيب قال فتأولت ذلك قبورهم اجتمعت ها هنا وانفرد قبر عثمان، وثبت من حديث جابر بن عبدالله ان رسول الله (ص) نحر فى حجته التى يقال لها حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة فكان فى نحره هذا العدد من البدن إشارة إلى ان مدة حياته (ص) ثلاث وستون سنة.

وثبت من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله قال: إن امن الناس على فى صحبته وماله وابو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلاً إلا خلة الإسلام لا تبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة ابى بكر[٦١].

فكان امر رسول الله (ص) بإبقاء خوخة ابى بكر رضى الله عنه فى المسجد مع منع الناس كلهم من ذلك إشارة ودليل على خلافته بعد رسول الله (ص) وان ذلك من رسول الله (ص) تنبيهًا للناس بأن ابا بكر يصير إمام المسلمين ويخرج من بيته إلى المسجد كما كان رسول الله (ص) يخرج.

---

(٦١) انظر البخارى ومسلم باب فضل ابى بكر. وحديث خوخة ابو بكر مردود بأحاديث اخرى لصالح خوخة على. انظر الترمذى كتاب المناقب ومجمع الزوائد للهيثمى جـ ٩ /١١٤ ومسند احمد.

ذكره ابن بطال وقد جعل جمهور الصحابة استخلاف رسول الله (ص) أبا بكر فى الصلاة وهو مريض دليلاً وإشارة إلى انه الخليفة من بعد رسول الله (ص)، وقالوا: قد رضيه رسول الله (ص) لديننا، افلا نرضاه لدنيانا[٦٢]؟

وثبت فى الصحيح من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان عمر يدخلنى مع اشياخ بدر، فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله، فقال إنه ممن قد علمتهم.

قال: فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم وما رايته دعانى يومئذ إلا ليريهم منى.

فقال: ماتقولون فى «**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا**» حتى ختم السورة، فقال بعضهم امرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا.

وقال بعضهم لا ندرى أو لم يقل شيئًا.

فقال لى يا ابن عباس أكذا هو؟

قلت: لا.

قال: فما تقول؟

قلت: هو أجل رسول الله (ص) اعلمه الله له يقول إذا جاء نصر الله والفتح، فتح مكة فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا.

قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم، فهذا فهم الصحابة والتابعين وهم القدوة وبهم الأسوة. وفقنا الله لاتباعهم.

---

(٦٢) هذا الكلام من استنتاجات بعض الفقهاء والمؤرخين وليس محل إجماع.

﴿فصل فى بنى العباس﴾

إياك والاعـتـراض على مـا تقـدم بـأخـذ بنى العبـاس بن عـبـدالمطلب بن هاشم الخلافة وانهم اقاموا خلفاء نيفًا على خمسمائة وعشرين سنة فإن الخلافة إنما صارت إليهم بعدما ضعف امر الدين وتخلخلت اركانه وتداول الناس امر الأمة بالغلبة فـأخذها حينئذ بنو العباس بأيدى عجم أهل خراسان ونالوها بالقوة ومناهضة الدول ومشاورة الملوك حتى ازالوا بعجم خراسان دولة بنى امية وتناولوا العز كيف كان فما وصل امر الأمة إلى اهل العدالة والطهارة ولا وليهم ذوو الزهادة والعبادة ولا ساسهم أرباب الورع والأمانة بل استحالت الخلافة كسروية وقيصرية بحيث أن إبراهيم الإمام ابن محمد بن على بن عبدالله بن عباس لما وجه ابا مسلم الخراسانى إلى دعاته بخراسان ووصاهم ان يسمعوا له ويطيعوا، قال له انك رجل منا اهل البيت احفظ وصيتى انظر هذا الحى من اليمن فأكرمهم واسكن بين اظهرهم فإن الله لا يتم الأمر إلا بهم واتهم ربيعة فى امرهم واما مضر فإنهم العدو القريب الدار واقتل من شككت فيه، وإن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل، وايما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله(٦٣).

فأين اعزك الله هذه الوصية من وصايا الخلفاء الراشدين لعمالهم.

وتالله لو توجه ابو مسلم إلى ارض الحرب ليغزو أهل الشرك بالله لما جاز أن يوصى بهذا، فكيف وإنما توجه إلى دار الإسلام وقتال ابناء المهاجرين والأنصار وغيرهم من العرب لينتزع من أيديهم ما فتحه آباؤهم من أرض الشرك ليتخذ مال الله دولا وعبيده خولا فعمل أبو مسلم بوصية إبراهيم الإمام حتى غلب على ممالك خراسان وتخطت عساكره إلى العراق فيقال إنه قتل ستمائة الف إنسان وسار فى الناس بالعسف والجبرية.

----

(٦٣) انظر هذه الوصية فى تاريخ اليعقوبى جـ ٢ /٢٦٢. وانظر حوادث عام ١٢٩هـ ومابعدها فى كتب التاريخ.

فمن سىء سيرته إنه لما قوى أمره وصار فى عسكر ودخل مرو فى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائة واستولى عليها اراد الغدر بنصر بن سيار وقد آنسه وبسطه وضمن له أن يكف عنه ويقوم بشأنه عند الإمام.

فبعث مع لاهز بن قريط وسليمان بن كثير وعمران بن إسماعيل وداود بن كراز يعلمه ان كتابًا اتاه من الإمام يعده فيه ويمنيه ويضمن له الكرامة ويقول له انى أريد مشافهته، وقرأ كتاب الإمام عليه، يريد بذلك انه إذا أتاه قبض عليه.

فلما أتته الرسل تلا لاهز قول الله تعالى: «**إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ**» [القصص: ٢٠].

فتنبه نصر على ما اراد من تحذيره، فقال: أنا صائر معكم إلى الأمير ابى مسلم، ودخل بستانا له كأنه يريد أن يلبس ثيابه ويركب دابته وهرب إلى الرى.

وسأل أبو مسلم عنه فأخبر بتلاوة لاهز الآية، فقال له: يا لاهز أعصيته فى الدين؟ قوما فاضربا عنقه، فضربت عنق لاهز.

وكان سليمان بن كثير الخزاعى أحد نقباء الدعوة فقتله أبو مسلم، لأنه كره سيرته واخذ عنقود عنب، فقال اللهم سود وجه ابى مسلم كماسودت هذا العنقود واسقنى دمه.

قال أيضًا: حفرنا نهرًا بأيدينا، فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء - يعنى أبا مسلم -.

وقتل زياد بن صالح من أجل انه بلغه عنه انه يقول إنما بايعنا على إقامة العدل وإحياء السنن، وهذا جائر ظالم يسير بسير الجبابرة وإنه مخالف.

وكـان لزياد بلاء حسن فى إقـامـة الدولـة فلم يرع له، فـغـضب عيـسى بن مـاهان مولى خزاعة لقتل زياد ودعا لحرب أبى مسلم سرا، فاحتال عليه بأن دس إلى بعض ثقاته بقتله فكتب إليه أن رسول أمير المؤمنين - يعنى السفاح - قد قدم على الأمير بخلع وبر له وللأولياء فصر إلينا لتشركنا فى امرنا.

فقدم عليه فأخذه وادخله جوالق وضربه بالخشب حتى قتل.

وكان افلح بن مالك بن اسماء بن خارجة الفزارى بخراسان وكان صديقا لأبى مسلم يلاعبه الشطرنج ويؤانسه وكان ذا قدر بخراسان فلما ظهرت الدعوة قدم على أبى مسلم وقال:

قل للأمير أمين الإمام وصى وصى وصى وصى
أتيتك لا طالبًا حاجة ومالى فى أرضكم من كفى

فكان أبو مسلم يبره ويكرمه، ثم أمر بقتله فقيل له صديقك وانيسك، فقال: رايته ذا همة وابهة فقتلته مخافة أن يحدث حدثا وكان لا يقعد على الأرض إذا قعدت على السرير ولقد كان على كريما وكنت له محبًا.

فعير أبو جعفر المنصور أبا مسلم بقتله فيما عيره له لما عزم على قتله.

وكان أبو مسلم يخدم يونس بن عاصم فابتاعه منه بكير بن ماهان بأربعمائة درهم وبعث به إلى إبراهيم الإمام فلما ملك ابو مسلم مرو قدم عليه يونس بن عاصم فأكرمه غاية الإكرام. ثم دس إليه رجلا، فقال: سله عن حاله عندى ولم اكرمته؟ فساله.

فقال: كنت قهرمانا له ناصحًا.

فقال له ابو مسلم: ابيت إلا كرمًا.

فقال: يا ابن اللخناء أردت ان اقول إنك كنت لى خادمًا فتقتلنى، فبالله اسألك لو لم اقلب المعنى ماكنت فاعلا؟

قال: قد كنت قدرت موضع خشبتك.

قال: اكان هذا جزائى؟

قال: ومن جازيناه بجزائه؟ وضعت سيفى فلم يبق بر ولا فاجر إلا قتلته(٦٤).

ومثل هذا كثير ومازال يسعى بجهده حتى ازال دولة بنى أمية، واقيم عبيدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس الملقب بالسفاح فبعث عمه عبدالله بن على لقتال مروان بن محمد فقتله وبطش فى اهل الشام بطش الجبارين وسار من الجور سيرة لم يسرها احد قبله.

وذلك انه لما هزم مروان بالزاب وغلب على بلاد الشام وقتل أهل دمشق وهدم سورها وسار إلى فلسطين نادى وهو على نهر ابن فطرس فى بنى أمية بالأمان فاجتمعوا إليه فعجلت الخراسانية إليهم بالعمد فقتلوهم.

وقتل عبدالله جماعة منهم ومن اشياعهم.

وامر بنبش قبر معاوية بن ابى سفيان فما وجد منه إلا خط ونبش قبر يزيد بن معاوية فوجد منه سلاميات رجله ووجد من عبدالملك بن مروان بعض شؤون رأسه ولم يوجد من الوليد وسليمان ابنى عبدالملك إلا رفات ووجد هشام صحيحًا إلا شيئًا من انفه وشيئًا من صدغه فضرب عدة سياط وصلب ووجدت جمجمة مسلمة بن عبدالملك

---

(٦٤) انظر سيرة أبو مسلم الخرسانى فى كتب التاريخ. بداية من عام ١٢٩هـ وحتى مقتله عام ١٣٧هـ.

فاتخذت غرضًا حتى تناثرت.

ولم يعرض لعمر بن عبدالعزيز وجمع ماوجد فى القبور واحرق.

وخطب عبدة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية بن ابى سفيان، زوج هشام بن عبدالملك بن مروان فأبت عليه التزويج فامر بها فبقرت بطنها وجعلت حين اتى بها ليبقر بطنها وتقتل تنشد،

فقل للشامتين بنا افيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا

فهذه سيرة عبدالله بن على، وولى السفاح ابن اخيه إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن على بن عبدالله سنة ثلاث وثلاثين ومائة الموصل فدخلها فى اثنى عشر الفا فأول ما بدأ به أن دعا أهل الموصل فقتل منهم اثنى عشر رجلاً فنفر أهل البلد وحملوا السلاح فنادى من دخل الجامع فهو آمن فاتاه الناس يهرعون إليه فأقام الرجال على أبواب الجامع وقتل الناس فيه قتلاً ذريعًا تجاوز فيه الحد وأسرف فى المقدار.

فيقال انه قتل احد عشر الف إنسان ممن له خاتم سوى من ليس فى يده خاتم وهم عدد كثير جدًا بحيث لم ينج من رجال الموصل مع كثرتهم إلا نحو أربعمائة رجل صدموا الجند فأفرجوا لهم.

فلما كان الليل سمع صراخ النساء اللاتى قتل رجالهن فامر من الغد يقتلهن، فأقام رجاله ثلاثة أيام يقتلون النساء والصبيان.

وكان فى عسكره قائد معه أربعة آلاف عبد زنجى، فأخذوا النساء قهرًا.

فلما فرغ إبراهيم من قتل الناس فى اليوم الثالث ركب فى اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف المسلولة فأخذت امرأة بلجام دابته فأراد أصحابه قتلها فكفهم عنها، فقالت له: ألست من بنى هاشم، ألست ابن عم رسول الله؟ أما تأنف للعربيات المسلمات أن ينكحهن الزنوج؟

فلم يجبها وبعث معها من بلغها مأمنها.

ثم جـمع من الغـد الـزنوج للعطاء وقـتلهم عـن اخـرهـم، ثم أمـر بأن لا يتـرك فى الموصل ديك إلا ذبح ولا كلب إلا عقر، فنفذ ذلك.

فكانت هذه الفعلة لم نسمع بأقبح منها إلا ماكان من السفاح فإن زوجته أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبدالله بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخـزوميـة قـالت به: يا أمـيـر المؤمنين لأى شىء اسـتعـرض ابن أخـيك أهل الموصل بالسيف؟

فقال لها وحياتك ما أدرى؟

ولم يكن عنده من انكار هذا الأمر الفظيع سوى هذا.

ولعمرى لقد فاق فرعون فى فساده وأربى عليه فى عتوه وعناده، وأن السفاح بما فعله ابن أخيه قـد صار يسوم أمـة محـمـد (ص) من سـوء العـذاب أشـد وأقـبح مـاكان فرعون يسوم بنى إسرائيل منه.

فكيف بها إذا ضمت مع ما حكاه البلاذرى. قال: كان أبو العباس - يعنى السفاح -

يسمع الغناء فإذا قال للمغنى أحسنت لم ينصرف من عنده إلا بجائزة وكسوة.

فقيل له أن الخلافة جليلة فلو حجبت عنك من يشاهدك على النبيذ فاحتجب عنهم.

وكانت صلاته قائمة لهم(٦٥).

فأين هذا من الهدى النبوى وسير أئمة الهدى؟ فما أبعده عن هداهم، ولله در القائل:

نزلوا بمكة فى قبائل نوفل ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وأما أبو جعفر عبدالله بن محمد المنصور فأنه تزيا بزى الاكاسرة وجعل أبناء فارس رجالات دولتهم كبنى برمك وبنى نوبخت وأحدث تقبيل الأرض وتحجب عن الرعية وترفع عليهم بحيث أن عقال بن شبه قال له: أحمد الله فقد جزت مدى الخلفاء فغضب المنصور.

فقال: كبرت يا عقال وكبر كلامك، ففطن.

وقال: اجل لقد احزن سهلى واضطرب عقلى وانكرنى أهلى ولا اقوم هذا المقام بعد يومى فلم يعش المنصور بعد ذلك إلا شهرين وأياما.

---

(٦٥) انساب الاشراف. وانظر كتب التاريخ.

وحتى ان الربيع حاجبه ضرب رجلاً شمت المنصور عند العطسة، فلما شكا ذلك إلى المنصور.

قال: اصاب الرجل السنة، واخطأ الأدب.

فأين قول ابى جعفر هذا من حديث النبوة الناطقة والإمامة الصادقة، ووالله ما الأدب كله إلا فى السنة النبوية، فإنها هى الجامعة للأدب النبوى والأمر الألهى.

لكنه غلب على القوم الجبروت ودخلت النعرة فى آنافهم وظهرت الخنزوانية بينهم فسموا عوائد العجم أدبًا وقدموها على السنة التى هى ثمرة النبوة فزادهم ذلك جفاء وقسوة حتى إن ابا جعفر كان ممن بايع محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب ليلة تشاور بنو هاشم فيمن يعقدون له الإمامة، وذلك حين اضطربت امور بنى امية فلما اقيم ابو العباس عبدالله بن محمد السفاح فى الخلافة وعهد بها عند وفاته لأخيه ابى جعفر عبدالله بن محمد المنصور وقام من بعده بالأمر اهمه امر محمد بن عبدالله واخيه إبراهيم والح على أبيهما عبدالله بن الحسن أن يحضرهما إليه لما حج.

وكان قد شردهما خوف جوره ثم حبس عبدالله وعدة من بنى الحسن ومعهم الديباج بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو أخوهم لأمهم فاطمة بنت أبى عبدالله الحسين بن على بن أبى طالب.

وجعل القيود والاغلال فى ارجلهم وأعناقهم واركبهم محامل بغير وطاء وسار بهم

كذلك من المدينة النبوية وطنهم ووطن آبائهم حتى قدموا عليه وهو بالربذة فأمر بالديباج فشقت عنه ثيابه وضرب خمسين ومائة سوط فأصاب سوط منها وجهه.

فقال: ويحك اكفف عن وجهى فإن له حرمة برسول الله (ص).

فقال المنصور للجلاد: الرأس الرأس فضرب على رأسه نحوًا من ثلاثين سوطا. فأصابا إحدى عينيه سوط منها فسالت على خده ثم قتله.

ومضى ببنى حسن إلى الكوفة فسجنهم بقصر بن هبيرة واحضر محمد بن إبراهيم بن حسن وأقامه، ثم بنى عليه اسطوانة وهو حى وتركه حتى مات جوعًا وعطشًا. ثم قتل أكثر من معه من بنى حسن.

وكان إبراهيم الغمر بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فيمن حمل مصفدًا بالحديد من المدينة إلى الأنبار، وكان يقول لأخوته عبدالله والحسن: أعوذ بالله من مناطيهن منايا تمنينا ذهاب سلطان بنى أمية واستبشرنا بسلطان بنى العباس ولم يكن قد انتهت بنا الحال إلى ما نحن عليه.

وقد قتل أبو جعفر أيضًا إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر ومحمد بن إبراهيم، قيل دفنه حيًا.

وكان لأبى القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج ضيعة بالمدينة يقال لها الرأس فلم يسمح له أبو جعفر بالمقام بها حتى طلبه، ففر إلى السند وقال:

لم يـروه مـا أراق البغـى مـن دمنـا فى كل أرض فلم يقصر من الطلب
وليس يشفى غليلا فى حشاء سوى أن لا يـرى فوقهـا ابـن لبنـت نبـى

وكتب صاحب السند إلى أبى جعفر انه وجد فى خان بالمولتان(٦٦) مكتوبا يقول: القاسم بن إبراهيم طباطبا العلوى انتهيت إلى هذا الموضع بعد أن انتعلت الدم من المشى، وقد قلت:

عسى منهل يصفو فتروى ظمئة اطال صداها المشرب المتكدر
عسى جابر العظم الكسير بلطفه سيرتاح للعظم الكسير فيجبر
عسى صور امسى لها الجور حاقنا سيبعثها عدل بحى فتظهر
عسى الله لا تيأس عن الله انه ييسّر منه ما يعز ويعسر

فكتب إليه: قد فهمت كتابك وانا وعلى وأهله كما قيل:

نحاول اذلال العزيز لأنه بدانا بظلم واستمرت مرائره

واستحلف ريطة امرأة ابنه محمد المهدى أن لا تفتح بيتا عرضه عليها إلا مع المهدى بعد وفاته، ففتحته مع المهدى فإذا فيه من قتل من الطالبين وفى آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وفيهم أطفال فأمر المهدى فحفرت لهم حفرة ودفنوا فيها.

فأين هذا الجور والفساد من عدل الشريعة المحمدية وسيرة أئمة الهدى؟

---

(٦٦) بلدة من بلاد الهند.

وأين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة القريبة من النبوة؟

وتالله ما هذا من الدين فى شىء بل هو من باب قول الله سبحانه «**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ**» [محمد: ٢٢].

وكان أبو الجهم بن عطية مولى باهلة من أعظم الدعاة قدرًا أو أعظمهم غناءًا وهو الذى اخرج ابا العباس السفاح من موضعه الذى اخفاه فيه أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وحرسه، وقام بأمره حتى بويع بالخلافة فكان أبو العباس يعرف له ذلك وكان أبو مسلم يثق به ويكاتبه، فلما استخلف أبو جعفر المنصور وجار فى احكامه.

قال ابو الجهم ما على هذا بايعناهم إنما بايعناهم على العدل.

فأسرّها ابو جعفر فى نفسه، ودعاه ذات يوم فتغدى عنده، ثم سقاه شربة من سويق لوز، فلما وقعت فى جوفه هاج به وجع فتوهم انه قد سم، فوثب.

فقال له المنصور: إلى اين يا ابا جهم؟

فقال: إلى حيث ارسلتنى؟

ومات بعد يوم أو يومين فقال:

احذر سويق اللوز لا تشربنه   فشرب سويق اللوز اردى ابا الجهم

واما غدره بأبى مسلم فغير خاف على رواة الأخبار، وكان أشد ما يحقده عليه كتابه إليه: (اما بعد فإنى اتخذت اخاك إمامًا وكان فى قرابته برسول الله (ص) ومحله

من العلم على ماكان، ثم استخف بالقرآن وحرفه طمعًا فى قليل من الدنيا قد نعاه الله لأهله ومثلت له ضلالته على صورة العدل، فأمرنى ان اجرد السيف وآخذ بالظنة ولا اقبل معذرة، وان اسقم البرىء، وأبرىء السقيم، واتر أهل الدين فى دينهم وأوطأنى فى غيركم من اهل بيتكم العشوة بالافك والعدوان، ثم ان الله بحمده ونعمته استنقذنى بالتوبة وكره إلى الحوبة، فإن يعف فقديمًا عرف ذلك منه، وان يعاقب فبذنوبى وما الله بظلام للعبيد).

فكتب إليه ابو جعفر: قد فهمت كتابك وللمدل على اهل بيته بطاعته ونصرته ومحاماته وجميع بلائه مقال، ولم يرك الله فى طاعتنا إلا ما تحب فراجع احسن نيتك وعملك ولا يدعونك ما انكرته إلى التجنى فإن المغيظ ربما تعدى فى القول فاخبر بما لا يعلم، والله ولى توفيقك وتسديدك فاقدم رحمك الله مبسوط اليد فى أمرناو محكمًا فيما هويت الحكم فيه ولا تشمت الأعداء بك وبنا إن شاء الله).

فقدم عليه وقتله(٦٧).

فانظر اعزك الله إلى كتاب ابى مسلم يفصح لك عنه سيرة القوم ولن تجد اخبر بهم منه، ثم انظر إلى كتاب ابى جعفر جوابًا له، كيف لم ينكر عليه ما رماهم به ولا كذبه فى دعواه ذلك يحقق عندك صدقه ولا يوحشنك هذا من اخبارهم بل ضمه إلى وصية إبراهيم الإمام تجدهما قد خرجا من آل واحد.

وكان عبدالله بن دادبه وهو المقفع فد كتب لعبدالله بن على امانا حين اجاب ابو جعفر إلى امانة فكان فيه فإن عبدالله بن عبدالله امير المؤمنين لم يف بما جعل

---

(٦٧) انظر قصة مصرع ابو مسلم الخراسانى فى كتب التاريخ احداث عام ١٣٧هـ.

لعبدالله بن على فقد خلع نفسه والناس فى حل وسعة من نقض بيعته، فانكر ابو جعفر ذلك واكبره واشتد له غيظه على ابن المقفع، وكتب إلى ابى سفيان بن معاوية عامله على البصرة اكفنى ابن المقفع.

ويقال انه شافهه بذلك عند توديعه إياه فجاءه ابن المقفع يومًا فادخله حجرة، ثم سجر له تنورًا فالقاه فيه وهو يصيح يا أعوان الظلمة وقيل انه القى فى بئر واطبق عليه حجر وقيل ادخل حمامًا فلم يزل فيه حتى مات، وقيل دقت عنقه وقطع عضوًا عضوًا، والقيت أعضاؤه فى النار وهو يراه، ويصيح صياحًا شديدًا.

وقيل القى فى بئر النورة فى الحمام واطبق عليه صخرة فمات[٦٨].

وشكا بنو على بن عبدالله ما صنع سفيان بابن المقفع إلى ابى جعفر المنصور، فامر بحمل سفيان إليه، فلما جئ به وجاء عيسى بن على وغيره ليشهدوا عليه ان ابن المقفع دخل داره فلم يخرج وصرفت دوابه وغلمانه يصرخون وينعونه.

وجاء عيسى بتاجرين يثبتون الشهادة على قتله.

فقال لهم المنصور، ارايتكم إن اخرجت ابن المقفع إليكم ماذا تقولون؟

فانكسروا عن الشهادة وكف عيسى عن الطلب بدم ابن المقفع.

وكان سديف بن ميمون مولى آل ابى لهب مائلاً إلى ابى جعفر، فلما استخلف وصله بألف دينار، ثم انه اتصل بمحمد وإبراهيم ابنى عبدالله بن حسن حتى قتلا، فاختفى حتى أمنه عبدالصمد بن على والى المدينة، فلما قدمها ابو جعفر جد فى طلبه

---

(٦٨) انظر ترجمة عبدالمقفع صاحب كليلة ودمنة فى وفيات الأعيان، جـ ١٥١/٢ هامش ترجمة الحلاج وانظر الكلمة والسيف للمعلق.

حتى ظفر به، فجعله فى جوالق وضرب حتى كسر، ثم رمى فى بئر وبه رمق حتى مات.

فهذا وامثاله من سيرته خلاف سنن الهدى

وكان الفضل بن الربيع يمنع عائد الخليفة ان يسأل عن شىء يقتضى جوابًا ويقول اجعلوا عيادتكم دعاء فإذا أردت ان تقول كيف أصبح الأمير، فقل صبح الله الأمير بالكرامة.

وإن أردت السؤال عن حاله، فقل انزل الله على الأمير الشفاء والرحمة، فإن المسألة توجب الجواب.

وإن لم يجبك اشتد عليك، وإن اجابك اشتد عليه.

وكانت الخلفاء إذا عطست شمتت، فعطس هارون الرشيد فشمته رجل، فقال له الفضل: لا تعد اتكلف أمير المؤمنين ردًا وجوابًا، فجروا على ذلك فيما بعد.

وهذا المأمون عبدالله بن هارون الرشيد قد اثر فى الإسلام اقبح اثر وهو انه عرّب كتب الفلسفة حتى كاد بها أهل الزيغ والالحاد الإسلام وأهله وحمل مع ذلك الناس كافة على القول بخلق القرآن وامتحنهم فيه اشد محنة وأكثر من شراء الأتراك وتغالى فى اثمانهم حتى كان يشترى المملوك منهم بمائتى ألف درهم(٦٩).

-----

(٦٩) انظر سيرة المامون وفتنة خلق القرآن التى راح ضحيتها الحنابلة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى وكتب التاريخ.

واقتدى به أخوه أبو إسحاق المعتصم فاشتد على الناس فى امتحانهم بالقول بخلق القرآن وانتهك أعراضهم وبرّح بالضرب الشديد ابشارهم.

واخرج العرب قوم رسول الله (ص) الذين اقام الله بهم دين الإسلام من الديوان واسقط عطاءهم، فسقط ولم يفرض لهم بعده عطاء.

واقام بدلهم الأتراك، وخلع لباس العرب وزيهم، ولبس التاج وتزيا بزى العجم الذين بعث الله نبيه محمد بقتلهم وقتالهم فزالت به وعلى يديه الدولة العربية وتحكم منذ عهده وأيام دولته الأتراك الذين انذر الله بقتالهم فغلبوا من بعده على الممالك.

وسلطهم الله على ابنه جعفر المتوكل فقتلوه، ثم قتلوا ابن ابنه احمد المستعين وتلاعبوا بدين الله وتغلبوا على الأطراف كلها(٧٠).

وفعل المتوكل جعفر بن المعتصم فى خلافته من الانهماك فى الترف المنهى عنه ما يقبح مثله من آحاد الرعية.

وجهر بالسوء من القول فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حتى قتله بيد أعوانه وانصار دولته.

فقام من بعده ابنه محمد المنتصر فأتى بطامة لم يسمع فى الجور نظيرها وهو أنه كتب إلى الآفاق بأن لا يقبّل علوى ضيعة ولا يركب فرسا إلى طرفة من الأطراف وان يمنعوا من اتخاذ العبيد، إلا العبد الواحد ومن كان بينه وبين احد من الطالبين خصومة

---

(٧٠) انظر تاريخ الخلفاء.

من سائر الناس قبل قول خصمه فيه، ولم يطلب بينة وقرىء هذا الكتاب على منبر مصر.

فبالله هل سمع فى اخبار الجائرين أهل العناد والشقاق بمثل ما أمر به هذا الجائر، لا جرم ان الله اخذه ولم يمهله فكانت دولته ستة اشهر(٧١).

وما زالت امور الإسلام تتلاشى والدولة تضعف، إلى أن انتقل الملك والدولة فى آخر أيام المتقى إبراهيم بن جعفر المقتدر، وأول أيام خلافة المستكفى عبدالله بن المكتفى من بنى العباس إلى بنى بويه الديلمى(٧٢).

فلم يبق بيد بنى العباس من الخلافة إلا اسمها فقط من غير تصرف فى ملك بحيث صار الخليفة منهم فى مدة الدولة البويهية، ثم فى الدولة السلجوقية إنما هو كأنه رئيس الإسلام، لا انه ملك ولا حاكم تتحكم فيه الديلم ثم السلجوقية كتحكم المالك فى مملوكه كما هو معروف فى كتب التاريخ.

وما زالت ضعفة بنى العباس مع الديلم ومع الاتراك منذ استولى معز الدولة أحمد بن بويه ببغداد فى جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة تحت الحكم إلى أن قتلوا عن آخرهم وسبى حريمهم وهدمت قصورهم وهلكت رعاياهم على يد عدو الله هولاكو وكانوا هم السبب فى ذلك كما قد ذكر فى سيرة الناصر أحمد بن المستضىء.

----

(٧١) انظر المرجع السابق وكتب التاريخ.

(٧٢) من هذه الفترة قامت دولة البويهيين الشيعة واصبح الخليفة العباس يأتمر بأمرهم. انظر تاريخ الخلفاء وتاريخ دول الإسلام للذهبى واخبار البويهيين فى كتب التاريخ.

وقد ثبت فى الصحيح فى حديث معاوية انه سمع رسول الله (ص) يقول: إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم احد إلا اكبه الله على وجهه، ما اقاموا الدين(٧٣).

وروى وكيع عن كامل أبى العلاء عن حبيب بن ابى ثابت عن عبيدالله بن عبدالله عتبة قال: قام رسول الله (ص) فقال: يامعشر قريش إنّ هذا الأمر لا يزال فيكم حتى تحدثوا أعمالا تخركم منه، فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه، فالتحوكم كما يلتحى القضيب وهو حديث مرسل وعبيد الله هذا هو ابن عبدالله بن عتبة بن مسعود وابو عبدالله الهذلى المدنى الأعمى، أحد الفقهاء السبعة، مات سنة تسع وتسعين.

﴿فصل فى اتفاق الخلافة الإسلامية مع الملة الموسوية﴾

وقد اتفق فى الخلافة الإسلامية كما اتفق فى الملة الموسوية حذو القذة بالقذة، وذلك أن العرب كلها ترجع إلى قحطان وعدنان، فيقال لسائر قحطان اليمن، ويقال لسائر بنى عدنان المضرية والنزارية، وهى قيس. والعرب كلها على ست طبقات شعوب وقبائل وعمائر وبطون وافخاذ وفصائل وما بينهما من الآباء يعرفها أهلها.

قال الله جلت قدرته «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**» [الحجرات: ١٣] فالشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو اكبر من القبيلة، وقيل الشعب هو الحى العظيم، مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج سموا بذلك لتعبهم واجتماعهم كتشعب أغصان الشجر.

وقيل الشعب القبيلة نفسها، وقد غلبت الشعوب بلفظ بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر امر العرب شعوبى والقبائل جمع قبيلة.

---

(٧٣) انظر مسلم كتاب الإمارة والبخارى كتاب الأحكام.

والقـبـيلة من الناس بنو أب واحـد وهـى دون الشـعب كـبكر من ربيـعـة، وتميم من مـضر.

وقيل القبيلة الجماعة التى تكون من واحد ويقال لكل جمع على شىء واحد قبيل.

قال تعالى: «**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ** » [الأعراف: ٢٧].

واشتقت القبيلة من قبائل الشجر وهى أغصانها، وقيل أخذت من قبائل الراس وهى أطباقها الأربع لأن العمائر تقابلت عليها والعمائر واحدها عمارة وهى اصغر من القبيلة، وقيل العمارة هى الحى العظيم الذى يقوم بنفسه.

والشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون واحدها بطن وهو دون القبيلة، وقيل دون الفخذ وفوق العمارة فالبطن يجمع الافخاذ، وفخذ الرجل حيه من أقرب عشيرته إليه، ثم الفخذ يجمع الفصائل، وفصيلة الرجل عشيرته ورهطه الادنون، وقيل الفصيلة اقرب آباء الرجل إليه، فكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصى بطن وهاشم فخذ، وبنو العباس فصيلة.

وكما أن الله جعل العرب شعوبًا وقبائل فقد جعل بنى اسرائيل أسباطا، فالسبط من بنى اسرائيل كالقبيلة من العرب وبنو العرب وبنو اسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلوات الله عليهم إثنا عشرة سبطا، وهم يوسف النبى، وبنيامين، وكاد، ويهوذا، ونفتالى، وزبولون، وشمعون، وروبين، ويساخار، ولاوى، وذان، وياشر، فكل ولد من هؤلاء الأثنى عشر يقال له سبط، ومنهم كلهم سائر بنى إسرائيل.

فـإذا عـرفت ذلك فـاعلم أن مـوسى صلوات الله عليـه هو مـوسى بن عـمـران

ابن قاهت بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فهو من سبط لاوى، فلما مات لم يخلف فى إسرائيل أحد من سبط لاوى الذين هم قرابته القريبة وإنما خلفه يوشع وهو سبط افرائم بن يوسف وهو بعيد من سبط لاوى وذلك انه يوشع بن نون بن اليشماع بن عميهود بن لعدان بن تالح بن راشف بن بريعا بن افرائم بن يوسف النبى بن يعقوب عليهما السلام.

وهكذا وقع فى الإسلام، فإن رسول الله (ص) سيد بنى هاشم هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بلا خلاف فى ذلك، ولما توفى رسول الله (ص) لم يخلفه فى أمته أحد من بنى هاشم الذين هم أقرب العرب إليه.

بل خلفه (ص) ابو بكر وهو من بنى تيم بن مرة بن كعب، فإنه ابو بكر عبدالله بن ابى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

فانظر كيف كان ابو بكر خليفة رسول الله (ص) فى البعد من جذم رسول الله (ص) كبعد يوشع من أصل موسى عليه السلام فإن ابا بكر إنما يلتقى مع رسول الله (ص) فى مرة بن كعب بن لؤى بعد عدة آباء، وكذلك يوشع إنما يلتقى مع موسى فى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام بعد عدة ايام.

وكما انه قام بأمر بنى إسرائيل بعد يوشع خليفة موسى جماعة مختلفوا الأنساب بعضهم من سبط يهودا وبعضهم من سبط يساخار، وبعضهم من سبط بنيامين، وبعضهم من سبط منشا بن يوسف وبعضهم من سبط غاث وبعضهم من سبط ذان.

كذلك قام بالخلافة بعد ابى بكر جماعة مختلفة انسابهم.

بعضهم من بنى عدى وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رباح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب.

وبعضهم من بنى ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وهو عثمان بن عفان بن أبى العاص.

وبعضهم من بنى هاشم وهما على بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى وابنه الحسن بن على بن ابى طالب.

وبعضهم من بنى امية بن عبد شمس وهم معاوية بن ابى سفيان بن حرب بن أمية وابنه يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد بن معاوية بن ابى سفيان.

وبعضهم من بنى اسد بن عدى بن عبد العزى بن قصى بن كلاب وهو عبدالله بن الزبير بن العوام بن أسد بن عبدالعزى.

وبعضهم من بنى الحكم ابن ابى العاص بن امية بن عبد شمس وهم مروان بن الحكم وابنه عبدالملك بن مروان وبنوه.

وكما ان بنى إسرائيل استقر امرهم بعد من ذكرنا فى يهوذا كذلك استقرت الخلافة بعد من ذكرنا فى بنى العباس.

وكما ان يهوذا عم موسى عليه السلام، كذلك العباس بن عبدالمطلب بن هاشم وهو عم رسول الله (ص).

وكما ان يهوذا قدمه يعقوب على اخوته وبشره ومدحه، كذلك العباس رضى الله عنه كان رسول الله (ص) يجله ويكرمه ويثنى عليه.

وكما ان أمر بنى إسرائيل افترق فى دولة بنى يهوذا وصار بعد موت سليمان بن داود عليهما السلام فرقتين؛ فرقة بالقدس مع ابنه رحبعم بن سليمان وهم يهوذا وسبط بنيامين.

وفرقة بشمرون مع يريعام بن نباط وهم بقية الأسباط.

كذلك لما صارت الخلافة فى بنى العباس افترق أمر الأمة فصار فى الانبار، ثم فى بغداد بنو العباس وفى الأندلس عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم وبنوه من بعده.

فلم تدخل الأندلس تحت طاعة بنى العباس، كما لم تدخل شمرون تحت حكم سبط يهوذا.

وكما ان مدينة القدس التى هى دار ملك بنى يهوذا كانت تدعى أورشليم ومعناه دار السلام، كذلك بغداد دار ملك بنى العباس كان يقال لها دار السلام.

وكما ان دولة يريعام من بعده بشمرون التى عرفت بنابلس إنقرضت قبل دولة بنى يهوذا بالقدس فإنهالم تقم غير مائتين واحدى وستين سنة، فكذلك دولة بنى أمية بالأندلس فانها انقرضت قبل انقراض دولة بنى العباس فكانت مدتهم مائتين وسبع وستين سنة.

وكما ان دولة بنى يهوذا بالقدس اقامت من عهد داود عليه السلام وهو أول من ملك منهم إلى أن انقرضت نحوًا من خمسمائة سنة فإنها اقامت أربع مائة وعشر سنين كذلك بنو العباس أقامت خلافتهم منذ ابى العباس عبدالله السفاح أول قائم منهم إلى أن انقرضت أيامهم خمسمائة وأربعًا وعشرين سنة.

وكما أن دولة بنى يهوذا انقرضت على يد بخت نصر فإنه سار إليهم من بلاد المشرق وقاتلهم وهدم القدس دار ملكهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم، فكذلك زالت دولة بنى العباس على يد هولاكو لما قدم إلى بغداد من بلاد المشرق فقتل الرجال وسبى النساء.

وكما أن أمر بنى إسرائيل لم يجتمع بعد زوال دولتهم لواحد يقوم بدينهم كذلك أمة محمد (ص) لم تجتمع بعد انقراض خلافة بنى العباس لواحد بل صار فى كل قطر ملك وكما عاد لبنى إسرائيل بعد إزالة بخت نصر دولتهم ملك كانوا فيه تحت يد اليونان وغيرهم مدة عمارة بيت المقدس بعد عودتهم من الجالية.

كذلك اقام الأتراك ملوك مصر رجلاً من بنى العباس جعلوه خليفة وليس له أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة[٧٤].

وكما أن بنى إسرائيل قوم موسى عليه السلام قطعهم الله فى الأرض أممًا كذلك قريش قوم رسول الله (ص) تفرقوا فى اقطار الأرض وصاروا رعية ورعايا ليس لهم ملك ولا دولة.

---

(٧٤) المقصود بملوك مصر هنا حكام المماليك الذين استعانوا بابناء العباسيين الفارين من وجه التتر كواجهة شرعية لهم ونصبوهم خلفاء بلا سلطة وكانوا أحيانا يقتلونهم. انظر سيرة هؤلاء فى تاريخ الخلفاء للسيوطى.

وكما أن أنساب بنى إسرائيل جهلت بأسرها إلا بعض بنى يهوذا فإن نسبهم يتصل بداود عليه السلام، كذلك قريش جهلت فى هذه الأيام انساب جميع بطونها إلا ماكان من بنى حسن وحسين فأن أنساب كثير منهم متصلة إلى على بن ابى طالب رضى الله عنه.

فانظر اعزك الله كيف تشابه أمر هذه الأمة المحمدية بأمر الأمة الموسوية، وقد انذر بذلك رسول الله (ص)، وكان هذا من اعلام نبوته كما بينته فى كتاب «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع (ص).

. ثبت فى غير موضع من البخارى ومسلم وغيرهما من حديث زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ص): «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم) قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟ هذا لفظ مسلم، ولفظ البخارى لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، الحديث بمثله.

وفى لفظ له: لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟ ولبقى ابن مخلد من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة ان النبى (ص) قال لتتبعن سنن من كان قبلكم باعًا بباع وذراعًا بذراع وشبرًا بشبر حتى لو دخلوا فى جحر ضب لدخلتم معهم، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن، والله أعلم.

﴿تم وكمل بحمد الله وبعونه وصلى الله على سيدنا محمد﴾

﴿وآله وسلم تسليمًا كثيرًا آمين﴾

ملحق

فصل الحاكم فى النزاع والتخاصم

لمحمد بن عقيل العلوى

١٢٧٩هـ/١٣٥٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على خير خلقه سيدنا محمد وآله ومن تبعهم بإحسان.

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله، وصلاته وسلامه على سيدنا ومولانا محمد وآله الهداة، ومن اتبعه ووالاه، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله مشتبهًا علينا فنتبع الهوى.

أما بعد فقد قرأت كتاب (النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم) للحافظ العلامة أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى رحمه الله، فرأيته جمع فيه فوائد عديدة حسنة، وأدخل معها قليلاً من الوهم والغلط، فاستخرت الله عز وجل، واستعنت به، وتوكلت عليه، واستخلصت منه زبدة صالحة ممزوجة بزيادات صحيحة زدتها، ولم أتقيد بألفاظ المصنف فيما استخلصه من كتابه، وقد أتممت البحث بتبيين الصواب، وكشف النقاب عن الوهم والغلط، الذى راج على المصنف رحمه الله تعالى.

وأسأل الله الكريم أن يجعل صنيعى خالصًا لوجهه، وأن ينفعنى به، وينفع به صالحى عباده إنه الجواد الرحيم.

وقد سميته (فصل الحاكم فى النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم).

ذكر المصنف رحمه الله بعد ديباجة كتابه أنه يكثر تعجبه من تطاول بنى أمية إلى الخلافة مع بعدهم من جذم رسول الله (ص) فأين بنو أمية وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله (ص) ولعينه من التحدث بالخلافة سيما مع ما كانوا عليه، فإن العداوة

والمباينة الشديدة بين بنى أمية وبنى هاشم كانت فى الجاهلية، ثابتة، ثم ازدادت شدة ورسوخًا فى الإسلام لمبالغة بنى أمية فى عداوة النبى (ص) وعداوة المسلمين، وأذيتهم، وجدهم واجتهادهم فى استئصال شأفتهم، واستمرارهم على ذلك إلى أن قهروا والجئوا إلى الإسلام كرهًا يوم الفتح.

ولم يزل فيهم بعد ذلك من يضمر العداوة للإسلام وأهله، ويعرف بذلك، فلعمرى لا بعد أبعد مما بين بنى أمية، والخلافة، إذ لا سبب ولا نسب لهم يمتون به إليها ما سوى القرشية التى يستوى معهم فيها قريش الظواهر.

فذو القرابة القريبة غيرهم، والوصية إلى سواهم، والناصرون للإسلام ولنبيه أعداؤهم، والسابقون إليه مقاتلوهم.

فليسوا فى قليل ولا كثير ما يدلى به إلى الخلافة من دين أو علم به، أو نصر له، أو قرابة قريبة غير مجذوذة إلى صاحبه، أو وراثة، وكل هذا مجمع عليه، ولا نزاع فيه بين المسلمين.

وحيث قد بعد القوم كل البعد عن كل مؤهل للخلافة، فليتهم سلموا مما يبعدهم أشد البعد عنها، ولكنه قد اجتمع فيهم من ذلك ما يعسر عده.

فعداوة كبيرهم أبى سفيان بن حرب لرسول الله (ص) ومحاربته له وإجلابه عليه، وغزوه إياه أشهر من أن ينكر، ولقد أسلم بعد ذلك كرها، فسلم ولم يكن خلاصه إلا بشفاعة العباس بن عبد المطلب، وقد طلب له حينئذ ما طلب.

فكانت المكافأة عن تلك اليد البيضاء محاربة على، وتسميم الحسن ابنه، وقتل

الحسين ومن معه من أولاد على، وقرابات النبى (ص) وحمل نسائهم وذراريهم حواسر على الأقتاب، والكشف عن سواة على بن الحسين لما اشكل عليهم بلوغه، كما يصنع بأبناء المشركين، وقتل بسرين أرطأة وزير معاوية وأميره ابنى عبيد الله بن العباس طفلين صغيرين، فتدلهت أمهما، ورثتهما بشعرها السائر.

وقتلهم أولاد عقيل بن أبى طالب مع زعمهم انه كان قد أعانهم على حرب اخيه، فإن صدقوا فقد جزوه بما هم اهله، وإن كذبوا فما أحراهم بالبهتان.

ومن عرف بنى امية لا يعجب مما صنعوا لأن مثلهم لا يكون منه إلا ما كان منهم، ولكن العجب كل العجب من صنيع الأمة معهم مع معرفتهم احوالهم وتراجم رجالهم.

فمنهم ابو احيحية سعيدبن العاص بن امية مات مشركا كان من اشد الناس عداوة وبغضاً لرسول الله (ص)، ومنهم عقبة بن ابى معيط كان فاجراً فاحشاً، خبيثاً، وجد رسول الله (ص) ساجداً لله تعالى فوطأ عنقه الشريف وطأ شديداً، ووجده مرة اخرى فوضع عليه سلا جزور أو شاة، وقد أسر ببدر، فأمر النبى (ص) عليا فقتله، فقال للنبى (ص): يا محمد من للصبية؟

قال: النار.

ومنهم الحكم بن ابى العاص لعين رسول الله (ص) وطريده كان مؤذيا لرسول الله وعاراً فى الإسلام، لم يحسن إسلامه بل كان يتطلع اخبار النبى (ص) بالمدينة، ثم يخبر بها الكفار، ومشى مرة خلف النبى (ص) وهو يتخلج بأنفه وفمه، ويتفكك ويتمايل كأنه يحاكى النبى، فالتفت إليه النبى (ص) فرآه فقال له: كن كذلك، فمازال بقية عمره على ذلك.

وطرده النبى (ص) من المدينة، ولعنه وما ولد، وقال: ويل لأمتى مما فى صلب هذا، وله أخبار سيئة كثيرة.

وقال فيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يخاطب ابنه:

إن اللعين ابـاك فـارم عظامه

إن تـرم تـرم مخلجـا مجنونـا

يضحى خميص البطن من عمل التقى

ويظـل مـن عمـل الخبيـث بطينـا

ومن أعداء النبى (ص) عتبة بن ربيعة عدوّ الله ورسوله، وهو جد معاوية، وقتله حمزة كافرًا ببدر، فلما قتل حمزة بأحد لاكت هند بنت عتبة كبده، واتخذت لها حليًا من آرابه، وأعطت حليها قاتله وحشيًا، وقد استثناها النبى (ص) من الأمان العام يوم فتح مكة، وامر بقتلها فى من أمر بقتله، فأسلمت، وهى ام معاوية مبدل أحكام الإسلام، وهادم أركانه.

ومنهم الوليد بن عتبة قتله على ببدر كافرًا، وهو خال معاوية.

ومنهم شيبة بن ربيعة، وكان ممن يكيد لرسول الله (ص) ويؤذيه، وقتل ببدر كافرًا.

ومنهم أبو سفيان والد معاوية حامل راية عداوة الله ورسوله، وقائد الأحزاب،

واحد اكبر ائمة الكفر، واشدهم عداوة لله ولرسوله، وللمسلمين، واكثرهم اجتهادًا فى محاربته، وكيده، واحرصهم على استئصالشأفة الإسلام، ومحوه، وكان زندقيًا فى الجاهلية، ثم أسلم كرهًا إسلامًا مدخولا، وخرج مع رسول الله (ص) فى غزوة حنين، ومعه الأزلام يستقسم بها، وسرّ بهزيمة المسلمين، ثم كان كهفًا للمنافقين، روى الحسن ان ابا سفيان دخل على عثمان حين ولى الخلافة فقال: ادرها كالكرة، واجعل اوتادها بنى امية، فإنما هو الملك، ولا أدرى ما جنة ولا نار.

ومنهم معاوية بن المغيرة، وهو ممن مثل بحمزة بعد قتله، وقتله على وعمّار كافرًا بأمر من النبى (ص).

ومنهم حمالة الحطب عمة معاوية كانت تسب النبى (ص) وتؤذيه، وتضع الشوك فى طريقه، وهلكت كافرة.

فجميع هؤلاء ككثير غيرهم من قرباتهم بذلوا جهدهم فى عداوة الله ورسوله، وفى أذيته، واذيّة المسلمين حتى الجأوهم إلى الهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة فرارًا من الاضطهاد والظلم والتعذيب، فاستولى الظالمون على رباع ومخلفات المهاجرين وباعوها، وهموا بقتل النبى (ص) غير مرة فحفظه الله من مكرهم، وبالغ كل منهم، وبذل كل جهده بنفسه وبماله وعشيرته فى كيده، ولما هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة ونجاه الله من شرهم جعلوا لمن يقتله مائة بعير نادوا بذلك فى أعلى مكة واسفلها حسدًا للنبى (ص)، وحقدًا عليه.

ففى هذه الطغمة كهف النفاق، والوزغ وابن الوزغ، وناقر ثنايا الحسين بالقضيب، وصبية النار، وآكلة الأكباد، وحمالة الحطب.

ومن مآثرهم من بعد الإشادة بلعن صنو النبى وسيد المسلمين، وقتل فضلاء المهاجرين والأنصار والبدريين، وأصحاب الشجرة، ثم قتل الحسين بن النبى وريحانته، ووطء صدره وظهره الشريفين، بسنابك الخيل، وقتل زيد بن على، ثم نبشهم له من قبره، وصلبه بعد ان القوا راسه الكريم فى عرصة الدار تطأه الأقدام، وتنقر دماغه الدجاج فقال الشاعر:

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد
طالما كان لاتطأه الدجاج

وقال شاعرهم مفتخرًا بفجورهم:

صلبنا لكم زيدًا على جذع نخلة
ولم نر مهديًا على الجذع يصلب

ثم قتلوا ابنه يحيى بن زيد، وسموا قاتله ثائر مروان، وناصر الدين، وضربوا على ابن عبدالله بن العباس بالسياط مرتين، وسمّموا أبا هاشم بن محمد بن على، وقتلوا إبراهيم الإمام، ادخلوا راسه فى جراب نورة إلى أن مات، وبالحرة قتلوا عون بن عبدالله ابن جعفر.

وقد كان أعرق الناس فى الكفر وفى عداوة النبى (ص) عبدالملك بن مروان بن الحكم، ومن الغريب انه لم يمنعه ذلك عن ان يكون خليفة، ووالد خلفائهم ايضا، ومثل عبدالملك بعض قومه يعرف ذلك من عرفهم، فإن جد عبدالملك لأبيه الحكم بن أبى

العاص، وقد مرّ ذكره، وجده لأمه معاوية وبن المغيرة، ومرّ ذكره، وابوه مروان فضض من لعنة الله، وهو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون، هو وولده إلاّ الصالحين، وقليل ما هم كما صح بذلك الحديث، وهو من بنى امية الشجرة الملعونة فى القرآن، وهل يكون امير المؤمنين إلاّ أولاهم بالإيمان، واقدمهم فيه.

وقد حدا الحادى بهشام بن عبدالملك، وهو رجلهم فقال:

إن عليـك ايهـا البختـى
أكـرم مـن تمشـى بـه المطـى

فقال: صدق قولك.

وقـال مرة: والله لأشكون سليـمان بن عـبـدالملك يوم القـيامـة إلى اميـر المؤمنين عبدالملك بن مروان، وكفى بهذا جهلاً.

وولّى ابنه سعيدًا حمصًا فبلغه زناه بنساء الناس، فقال به: يابن الخبيثة تزنى وانت ابن أمير المؤمنين: افجر فجور قريش، اقتل هذا وخذ مال هذا.

وبنو امية لهم أكبر سابقة من التهتك والفسوق، والوقاحة، فقد نافر امية هاشمًا فنفره هاشم، فخرج امية إلى الشام، واقام بها عشر سنين، وكان مضعوفا وصاحب عهار، ونافر حرب بن امية عبدالمطلب إلى نفيل بن عبدالعزى، فتعجب نفس من إقدام حرب على المنافرة، وقال له:

ابـوك معاهـر وابـوه عـف
وذاد الفيـل عـن بلـد حـرام

وقد صنع أمية شيئا لم يصنعه احد من اهل الجاهلية، فقد نزل لابنه أبى عمرو فى حياته عن زوجته، وزوجه بها فبنى بها ابو عمرو امام ابيه، وكان المقيتون فى الجاهلية الذين يتزوجون نساء آبائهم بعد موتهم، اما من يتزوج زوجة أبيه وهو حى على مراى منه، فهذا لم يكن قط من غير امية، ولله القائل:

عبد شمس قد اضمرت لبنى ها
شـم حـربًا يشيـب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى وابن هند
لعلـى وللحسـين يزيـد

ولاشك أن الأمر كما قال الشاعر:

إن العـداوة تلقاهـا وإن قدمـت
كالعـر يسكـن أحيانـا وينتشـر

إن رسول الله (ص) قد ابعد بنى امية عنه، واخرجهم من قرابته، واختص بها بنى هاشم، وبنى المطلب صح بذلك الحديث من طرق، فلم يجعل (ص) القرابة النسبية وحدها قرابة معتبرة فى أحكام دين الله تعالى مالم تقترن بها القرابة الدينية، فلم ينفعهم كونهم من بنى عبد مناف لعداوتهم فى الدين، وخدلانهم وعنادهم بخلاف إخوانهم بنى عبدالمطلب بن عبد مناف، لمسالمتهم له فى الجاهلية، وإسراعهم فى نصره وموالاته، فلقد وقوه بأنفسهم، حين تخلى عنه الناس اجمعون، ودخلوا معه الشعب واحتملوا مضض الحصار والخوف والجوع الشديد مؤمنهم وكافرهم، ما خلا ابو لهب

لعنه الله وابعده، وقد كان السابقون من المسلمين من غير اهل البيت إذ ذاك فى أمن وخصب وراحة ولله القائل:

وأرى القرابـــة لا تقــرب قاطعًـــا

وأرى المـــردة أكبـــر الأسبــــاب

فمن أغرب الغرائب اضطهاد الأمة وقهرها وقتلها من نصر نبيها (ص)، ونصح له ووقاه بروحه، وبذل فى حبه كامل جده واجتهاده، وأوصى النبى (ص) الأمة به، وحرضها على حفظه، وتكريمه،والتمسك به، وضمن لها عدم الضلال إن امتثلت ما امِرَت، واختصه النبى (ص) بامتيازات ذوى القربى، واستخلافها وترئيسها، وتاميرها، ونصرها من حارب نبيها، وكذبه ونابذه وكاده، وآذاه واجتهد فى ان يقتله، وفى أن يهلك الإسلام ويمحوه، ومن حذر النبى (ص) الأمة منه، واخرجه من قرابته، فلم يجعل له حظا من سهم ذوى القربى، فكيف يستحق نصيبًا فى الخلافة من لم يستحق ذرة من المال، وكيف يقيم دين الله أعدى عدو لله ولرسوله.

وليت بنى أمية إذ انزلتهم الأمة الإسلامية المنزلة التى لم يجعلها الله لهم، وملكتهم زمامها عدلوا وأصلحوا، وعملوا خيرًا.

ولكنهم افسدوا وفسقوا وجاروا، واستأثروا بأموال الأمة كلها، واهلكوا عترة نبيها (ص) قتلاً وتشريدًا واهانوا أنصاره، وبدلوا الأحكام، حتى قرروا عند اهل الشام انه لا قرابة لرسول الله (ص) يرثونه إلا بنى امية، وقال نائبهم الحجاج جهارًا على المنبر، رسولك افضل أم خليفتك، يعرض بأن عبدالملك بن مروان افضل من رسول الله (ص).

وقام ابن شُقَى فى مجلس هشام بن عبدالملك فقال امير المؤمنين خليفة الله، وهو اكرم على الله من رسوله فأنت خليفته ومحمد رسول الله.

وصرح اميرهم خالد بن عبدالله القسرى على منبر مكة بأن عبدالملك بن مروان افضل من خليل الرحمن (ص) كما نقل هذا ابن جرير.

وقال يوسف بن عمر عامل هشام بن عبدالملك فى خطبته يوم الجمعة: إن أول من فتح على الناس باب الفتنة، وسفك الدماء على وصاحبه الزنجى، يعنى عمار بن ياسر.

وقد صحح الحاكم حديث على فى قوله عز وجل ﴿واحلوا قومهم دار البوار﴾ قال: هما الأفجران من قريش: بنو امية، وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم، وأما بنو امية فمتعوا إلى حين.

وبعد ذكر المقريزى اكثر ما تقدمت الإشارة إليه أفاد أنه طالت حيرته، وتفكر فى ذلك سنين عديدة، وذاكر به مشيخة ممن لقيهم، فلم يجد طول عمره غير رجلين احدهما قد عراه ما عرا المقريزى من الحيرة، وثانيهما مقلد لا يزيد مذاكره على التهويل شيئا.

اول الأوهام/ ثم اتضح للمقريزى رحمه الله أن سبب طمع بنى أمية فى الخلافة رغمًا عما تقدمت الإشارة إليه من حالهم المنافى لها، وسبب منعها عن بنى هاشم، مع تحليهم بشروطها واستحقاقهم لها. هو أنه لما مات رسول الله كان عامله على مكة عتاب ابن اسيد الأموى، واقرّه ابو بكر، وكان على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص الأموى، وعلى البحرين أبان بن سعيد بن العاص الأموى، أو كان على البحرين العلاء بن الحضرمى، وهو حليفهم، وعلى تيماء وخيبر وتبوك، وفدك عمرو بن سعيد بن العاص الأموى، وعلى نجران ابو سفيان صخر بن حرب الأموى، وقيل: كان عليها أنصارى،

وقيل: إن ابنه يزيد كان ممن يجمع الصدقة، وكان على جرش حليف لبنى امية من الأزد.

وقال عمر بن عبدالعزيز: لما مات النبى (ص) كان من عماله أربعة رجال من بنى امية.

ثم ذكر المقريزى ان العمال على سائر النواحى كانوا من غير بنى هاشم قال: فإذا كان النبى (ص) قد اسس لهم الأساس، وأظهر بنى امية للناس بتوليته لهم الأعمال، فكيف لا يقوى ظنهم، وينبسط رجاؤهم.

وكيف لا يقصر أمل بنى هاشم، وقد ذكر البخارى عن الزهرى أن العباس عم النبى واكبر بنى هاشم سنا، وعليًا أخا النبى يريد احدهما أن يستعلم الآخر من النبى (ص) فى أيام مرضه هل الأمر فيهم أم فى غيرهم؟ فيأبى ذلك.

وذكر قول العباس لعلى: امدد يدك ابايعك، فيقال: عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، ويبايعك أهل بيتك، فإن مثل هذا الأمر لا يؤخر، وقول على للعباس: يرحمك الله ومن يطلب هذا الأمر غيرنا، أو معناه، هذا على اختلاف الروايات.

وسيأتى بيان ما اختلفوا فيه من إصابة أيهما وجه الرأى، وذكر أنها رويت مع ماذكره أحاديث كثيرة، إن كانت صحيحة فلا سبيل إلى ردّها، وإن كانت مفتعلة فقد كانت داعية إلى الأمر الذى وقع النزاع فيه.

واتبعها ببعض احاديث الفتن التى فيها ذكر ملك بنى امية، وجبروتهم، وتخاذهم مال الله دولا، وعباد الله خولا، ورؤيا النبى (ص) بنى الحكم، أو بنى العاص ينزون على المنبر نزو القردة فلم ير (ص) مستجمعًا ضاحكا حتى توفى، وما فى معنى ماذكر.

وأردفـه بأن ابا بكر ولى عـددًا من بنى أمـية، وحلفـائهم، وكـذلك فـعل عـمـر، ولم يوليا أحدًا من بنى هاشم.

والنتيجة أن هذا وما يشبهه هو الذى حدد أنياب بنى أمية، وفتح أبوابهم، واترع كأسهم، وقتل امرائهم، حتى لقد قام ابو سفيان بن حرب على قبر حمزة رضى الله عنه، فقال: رحمك الله أبا عمارة، لقد قاتلتنا على امر صار إلينا.

وروى أن الأمر لما افضى إلى عثمان بن عفان اتى ابو سفيان قبر حمزة فركله برجله، ثم قال: ياحمزة إن الأمر الذى تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم، وكنا احق به من تيم وعدى.

الثانى: ثم ذكر المقريزى اختصاص أهل البيت بالفضلواختيار الله لهم الآخرة، وقال: كان غير واحد من فضلاء الصحابة رضى الله عنهم يعلمون ان آل البيت أرفع قدرًا عند الله من ان يبتليهم بأعمال الدنيا، منهم عبدالله بن عمر رضى الله عنه وذكر ما روى انه قاله للحسين: والله لا يليها احد منكم، وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم.

وروى أن ابن عباس قال للحسين: ماكان الله ليجمع لكم بين النبوة والخلافة، قال: وهذا من فقههما.

وذكر اختيار رسول الله (ص) أن يكون عبدًا على ان يكون ملكا.

وذكر زعم بعضهم أن السر فى خروج الخلافة من على إلى ابى بكر وعمر، لئلا يقال: ملك متوارث.

قـال: وقـد ظهـر لى ان ولاية رسـول الله (ص) بنى اميـة الأعـمـال كـانت إشـارة منه (ص) إلى ان الأمر سيصير إليهم.

وذكر أن لـه فى مثل هذا التـأويل سلفـا، وهو ابن المسـيب فى تأويله جلوس النبى (ص) مع ابى بكر وعمـر فى قف البئـر فى جانب، وجلوس عثـمان منفـردًا مقـابلهم بأن قبورهم تجتمع ثلاثة، وينفـرد عـثمان، ثم اطال بذكر تشبثات لا يثبت شىء منها على المحك.

كـذكـره أن صيـرورة الخـلافة إلى بنى العـبـاس إنمـا كـانت أيام ضعف الـدين لعدم اسـتحـقـاقهم الخـلافة، وذكـر طرفـا من فظائع جـبـابرتهم وفـراعنة عمـالهم عـاملهم الله بعدله آمين.

وشـرع بعد ذلك فى المقـارنة بين مـا كـان فـى الأمة الموسـوية، ومـا صـار مـثله فى الأمة المحمدية حذو القذة بالقذة.

فذكـر انه خلف بعد موسى يوشع بن نون عليه السـلام، وهو من سبط آخر، وبعده عن موسى كعبد ابى بكر عن النبى محمد (ص).

وخلف بعد يوشع جـمـاعة مـختلفة انسـابهم، كما قـام بعـد ابى بكر رجـال مختلفة انسابهم.

ثم استقـر امر بنى إسرائيل فى بنى يهوذا عم مـوسى عليه السلام، وكذلك اسـتقر أمـر المسلمين فى بـنى العـبـاس عم النبى مـحمـد (ص)، وذكـر امورا سلك فيـهـا الآخـرون سنن من قـبلهم، إلى ان قال مـا معناه: ولم يجتمع امـر بنى إسـرائيلبعد زوال دولتـهم على

واحد يقوم بدينهم، فكذلك المسلمون لم يتفقوا على خليفة واحد بعد بنى العباس، أى أولهم.

وبنوإسرائيل قطعهم الله فى الأرض أمما، وكذلك قريش تفرقوا وصاروا رعية.

وبنو إسرائيل جهلت أنسابهم إلا بعض بنى يهوذا، فإن نسبهم يتصل بداود عليه السلام، وكذلك قريش جهلت انساب بطونها ماخلا بعض بنى حسن وحسين، فإن انسابهم متصلة بعلى.

فانظر أعزك الله كيف شابه أمر هذه الأمة أمر الأمة اليهودية، مصداقا لما أنذرها بها رسول الله (ص) فيما صح وثبت عنه، فكان ذلك من أعلام نبوته، كما بينته فى كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء و الأحوال والحفدة والمتاع.

عن أبى سعيد قال: قال رسول الله (ص): (لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن) أخرجاه فى مسلم والبخارى وله طرق.

الثالث: وقد انتهى ما أردنا استخلاصه من كلام المصنف رحمه الله ممزوجا بما زدناه عليه مما يقويه، ويوضحه ووفاء بما وعدنا به من تبيين ما دخل على المصنف من وهم وغلط، نقول: إن جميع ما ذكره المصنف فى بنى أمية من بعدهم عن رسول الله وعن ولايته، وولاية المؤمنين، ومن إخراجه (ص) لهم من قرابته إقصاء لهم، وطرداً، ومن اتصافهم بعدواة الله ورسوله والإسلام وأهله، وبالإلحاد والزندقة، والنفاق والنذالة، والعهار والدياثة، والخيانة، ومن مجازاتهم بالإساءة كل من احسن إليهم، ومن جبروتهم وظلمهم وعسفهم، وجشعهم وطمعهم، كل ذلك ثابت واقع لا شك فيه ولا مرية.

وكله مما يوجب على المسلمين إبعادهم وكبهم والاحتراس الشديد منهم، والحذر من سموم ضلالهم، وعدم الركون إليهم، وكله مما يوضح أن النزاع إنما كان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وما أحسن ما اتى به من المقارنة والتنظير بين ما وقع من الأمة اليهودية، وتبعهم فيه من تبعهم من الأمة المحمدية، حذو النعل، وما كان أحرى الأمة بتجنب تلك المهاوى بعد إنذار نبيها لها، وإرشاده لها إلى ما فيه ضمان هداها.

فإننا لا نشك فى ضلال اليهود، وفى أن الله غضب عليهم، لمخالفتهم أوامر ربهم، ولولا ذلك لما حذرنا نبينا (ص) من اتباع سننهم، وانذرنا رحمة منه بنا وإتماما للحجة علينا، ولذلك نقطع بضلال من نبذ التمسك بأهل بيت رسول الله واتبع سنن بنى إسرائيل.

ولا يلزم من كلامنا هذا الحكم بضلال جميع الأمة، كلا كيف لا،وقد صح عن النبى (ص) أن ربه اللطيف الخبير انبأه - وله الحمد والمنة - أن اهل بيته، وكتاب الله لن يفترقا إلى ورود الحوض، فهم ومن تمسك بهم اهل الحق، وهم الفرقة الناجية، وهم الطائفة التى لا تزال على الح لا يضرها من ناواها.

وبما تقرر مما ساق اكثره المصنف تتم الحجة فى فصل الحكم فيما فيه النزاع، ويمتاز اهل الحق من المتبعين سنن من قبلهم.

ومن العجائب إتيان المصنف به وعدم فهمه له مع وضوحه وظهوره، والسبب فى اشتباه الأمر عليه حتى كثر تحيره، ومذاكرته مشيخته طول عمره به - فيما نرى والله أعلم - هو إن شاء الله ما جرت به العادة غالبا من نشأة الإنسان على ما عليه أهل شارعه وبلده وقومه وإعظامه لمن يعظمونهم، واعتقاده انهم اهل الحق، وان مخالفتهم ضلال.

فينتحل التاويلات لكل ما يتراءى له من واضع خطائهم واوهامهم، هكذا جرت

العـادة، ولهـذا كذبـت الأمم رسلهـا، واستكبـرت وكبـر عليهـا ان يكـون الخطأ حليف من ارتكز تعظيمه فى قلوبهم، وهذا حجاب عن معرفة الحق، قل من خرقة إلاّ من وفقه الله واعانه.

إن المصنف ـ وأمثاله كثير ـ لما بهره سطوع نور الحق، وظهر له ضلال من ضل تحير، ولم يصدق عقله، ولم يقنع بقواطع الحجج، بل استرسل مع الأوهام، وذهب يغالط نفسه، ويحاول ستر شمس الحق بخيوط من نسيج العناكب متتبعا للوساوس والخيالات الواهية.

وإذا تأمل الموفق المنصف صنيع كثير من العلماء فى امثال هذه المواضيع مما تعصبوا له وجمدوا عليه، واشربته قلوبهم، وارتضعوه مع اللبن، وربوا عليه يجدهم يتشبثون بأذيال الأوهام هيبة للإنفراد عن الجماهير، ونضالا عن آراء كبار مقلديهم وإعظاما لمقام سابقيهم، وتخوفا من أن ينبزوا بألقاب مكروهة عند العامة، كالرفض مثلا، وحذراً من أن تعوى خلفهم كلاب الطواغيت من سفلة العلماء فيتعمدوا إطفاء نور الفرة، وإغماض عين البصيرة، وطمس معالم الهدى، وتخدير الضمائر بنحو قولهم: كذا قالوا، ولو لم يكن لهم مستند لما قالوا، وكقولهم: يسعنا ما وسعهم، وهم اعلم منا واروع، وداعى الإنصاف يناديهم بلسان الحق المبين «**هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**» [أين السورة].

والحق ان الذين هم أعلم وأروع هم من قال النبى (ص) فيهم (تعلموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) وهم الذين ضمن عدم الضلال للمتمسك بهم الذين من تقدمهم هلك، ومن تأخر عنهم هلك، ومن خالفهم ملك، وصار حزب إبليس.

الرابع: زعم المصنف رحمه الله تعالى ان الأمر اضتح له لنظره فى أمور هى ان

رسول الله (ص) لما توفاه الله تعالى كان رجال من بنى أمية وحلفائهم عمالا له، ولم يكن أحد من قرابته (ص) إذ ذاك عاملاً.

وبنى المصنف على هذا قـوله، فـإذا كـان رسـول الله (ص) قـد اسـس لهم هذا الأساس، واظهر بنى أمية لجميع الناس بتوليته لهم الأعمال. الخ..

فقد جعل المصنف تأسيس دولة بنى امية مبنيًا على هذه الشبهة الواهية، مقويًا لها بما رواه البخارى عن الزهرى من إشارة العباس على على بسؤال النبى عن الخلافة. الخ.

مؤيدًا ذلك برواية البخارى أيضًا قول العباس لعلى: امدد يدك.. الخ وجواب على عليه.

داعمًا جميع دعاويه بأحاديث الفتن التى حذر النبى (ص) امته فيها جبروت بنى أمية، واستبدادهم وطغيانهم لئلا يقعوا فيما وقع فيه من قبلهم من الأمم، وليعتصموا بحبل الله وعترة نبيه.

ثم اتبع ما أشرنا إليه بما صنعه ابو بكر وعمر من توليتها جلائل الأعمال رجال بنى أمية، وعدم توليتها احدًا من اهل بيت رسول الله (ص)، وقد جعل ما ذكره ترشيحًا لبنى امية، وتطريقًا لهم إلى الخلافة، وحملاً لهم على أعناق الأمة، وإقصاء لبنى هاشم، وإبعادًا لهم عن ما هم احق خلق الله به، وسدًا لباب الخلافة عنهم .. الخ الخ.

والصواب إن شاء الله تعالى انه قد كان ممن ولاه النبى (ص) جمع شياه الصدقة وبعرانها، وما اشبه ذلك رجال من بنى امية يعدون على أصابع اليد على نحو ما نقله

المصنف عن عمر بن عبدالعزيز، وسنبين لك فيما سيأتى ماهو مقصود تلك الولاية من النبى (ص) - لا من غيره لاختلاف المعنى والصورة - وبه تعرف جليًا أنها مما لا قيمة له فيما تخيله المصنف.

وما قد يفهمه قول المصنف انه لم يكن فى عمال النبى (ص) أحد من بنى هاشم من ان النبى (ص) لم يول أحدًا منهمخ ليس بمراد قطعًا، لأن النبى (ص) ولى عليًا النداء ببراءة بعد ان كان أعطاها ابا بكر، فأمر عليًا ان يأخذها منه وقال له: (لا يؤدى عنى إلا انا او انت) رواه أحمد.

فأى ولاية تساوى ذرة من هذا الشرف، وما علينا من تمحلات من ديدنهم تصغير عظيم قدر اخى النبى (ص) وصنوه **﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾** البقرة: ١٠٩. فليذهبوا فى أودية الباطل حيث شاؤوا ومن الهزء قولهم: إن النبى (ص) إنما راعى فى ذلك عادة عرب الجاهلية، وقد أعمالهم الغرض عن أن النبى (ص) إنما بعث لهدم الجاهلية وعاداتها الخبيثة، وما اقره (ص) مما كانوا عليه فإنما هو من تراث إسماعيل (عليه السلام)، ولو كان هذا منه لما خفى على النبى (ص) وعلى أصحابه الكرام، وقد كان لواؤه الخاص فى المواطن بيد اخيه على وولاء على اليمن، كما ولاه إصلاح ما افسده خالد بن الوليد، وتهدد من تلكأ عن الإسلام ببعثه عليهم خاصف النعل، وهو على، وقال: (هو عديل نفسى وولى كل مؤمن بعدى) وتواتر قوله فيه (من كنت مولاه فهذا مولاه) الحديث متواتر ولم يول عليه أحدًا طول حياته الشريفة، نفسى له الفداء إلى ما لا يحيط به الحصر من ومن ومن.

فيا عجباه لم ير المصنف جميع ما ذكرناه مع ما أحاط به علمه مما فى معناه ترشيحًا لعلى للخلافة مع توفر شروطها فيه، واتصافه بجميع ما اتصف به غيره من الصفات الجميلة الحسنة، وعدم اجتماع ما فيه منها فى أحد أبدًا.

وفهم واتضح له أن ما قيل من توليته لمن ولاه من بنى أمية لما سنذكره من الغرض لا أنها كانت ترشيحا للخلافة.

فمن أغرب الغرائب وأبعدها عن العقول والفطر السليمة أن يفهم احد أو يقول: اتضح لى أن الأمة إنما استسلمت إلى بنى أمية أعداء الله ورسوله وأعداء الإسلام، وولتهم، وأقصت اخا نبيها، وأصدق صديق له، وقتلت ذريته وشردتهم لما تخيله المصنف.

وقد ولت الأمة أبا بكر وعمر، ثم عثمان بدون ترشيح إذ لم يولهم النبى (ص) أعمالا تذكر، ولم تفهم الأمة أن فى ذلك إقصاء لهم عن الأمر، وأن عمال الزكوات وجباة الخراج أحق به منهم، وكذلك لم يحتج احد بشىء مما بنى عليه المصنف العلالى والقصور يوم السقيفة، ولا يوم الشورى، ولم يتضح لأحد منهم ما اتضح له، ولكن الوهم قد يربو فيغمر العقل فتتجسم له الخيالات.

وقد مات رسول الله (ص) وأسامة أمير على أبى بكر وعمر وكثير من المهاجرين والأنصار، ورايته عليهم معقودة، فلم يفهم هو ولا غيره أن ذلك ترشيح له للخلافة، وهو هو.

أما السبب فى تولية النبى (ص) من ولاه من بنى أمية، ومن ضارعهم فيما يظهر لنا فهو أنهم كانوا من الد أعداء المسلمين، واشدهم نكاية فيهم فثارات المسلمين عندهم كثيرة، وحنقهم عليهم شديدة، وقد تقدم ذكر نموذج مما كانوا عليه، ثم كان إسلامهم عن قهر، وكره وغلبة، ولم تنزل تبدو منهم فلتات تدل على انهم إنما أظهروا الإسلام وأسروا الكفر، فكان نفار المسلمين منهم عظيما، وكرههم لهم متأصلا، وتقززهم منهم مستمرا .

روى ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز قال: قال عمر بن الخطاب لأبى سفيان

ابن حرب: لا أحبك أبدا، رب ليلة غممت فيها رسول الله (ص).

فهل ترى عمر يعتقد صحة إسلام أبى سفيان، ثم لا يحبه أبدا لذنب محاه الإسلام، حاشا ولكنه عرف نفاقه، وإصراره على ماكان عليه.

جاء فى الأخبار الصحيحة أن جماعة من أصحاب الصفة مرّ بهم أبو سفيان بن حرب بعد إسلامه فعضوا أيديهم عليه، وقالوا: واأسفاه كيف لم تأخذ السيوف مآخذها من عتق عدوّ الله، وكان معه أبو بكر، فقال لهم: أتقولون هذا لسيد البطحاء، فرفع قوله إلى رسول الله (ص) فأنكره، وقال لأبى بكر: انظر لا تكون أغضبتهم فتكون قد أغضبت ربك، فجاء أبو بكر إليهم وترضاهم، وسألهم أن يستغفروا له، فقالوا: غفر الله لك. رواه مسلم.

أترى رسول الله (ص) يقر ما قاله أهل الصفة لو كان أبو سفيان صحيح الإسلام حاشا وكلا، فأراد النبى (ص) من جهة تأليف قلوب أولئك الأعداء، ومداواة أودهم، ولددهم ومن جهة تخفيف نفرة المسلمين منهم، وتقريبهم إليهم، بتوليته لهم ولآهم عليه، ومن جهة ثالثة تفريقهم فى الأطراف لئلا يتألف منهم حزب ضلال وإضلال، ومن جهة رابعة إبعادهم عن المدينة لئلا يبقوا بها عيونا وجواسيس للأعداء، ومأوى ومكمنا لكل غادر خبيث، ولئلا يفسدوا قلوب من فى قلوبهم مرض، من ضعفاء اليقين **﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾** التوبة: ٤٧.

وقد سبق ذكرنا لأن أكثر ما ولاه رسول الله (ص) أولئك الملموزين فى دينهم المدخول إسلامهم ولم تكن ولايات ذات خطر، سيما فى تلك الأعصار بل هى من جنس ما ولاه الخائن ابن التبيه، والفاسق بنص القرآن ابن أبى معيط من جمع أعنز وضأن أباعر بسيرة صدقة من الأعراب، أو جزية قليلة لو حولت إلى عملة زمننا هذا لما ساوت

ما يستلمه محصل متوسط، أو هى أشبه بإمامة كفر صغير، أو عرافة عريف كتيبة تغير على طرف من الأطراف، وتحل حين تعود، فلا يجوز أن يبنى عليه أكثر مما ذكرناه مهما بالغنا فيه.

الرسول وبنى هاشم: وأما عدم إكثار النبى (ص) من تولية بنى هاشم وأجلاء الصحابة، وتفريقهم فى الأطراف، فله أسباب، ولا يجوز أن يكون فى ذلك إقصاء لهم عن الخلافة، كما زعم المصنف اتضاح ذلك له، أو قطعًا لطمعهم فيها:

منها: أن بقاءهم بجوار رسول الله (ص) يحفظون ما ينزل من القرآن، ويتلقون ما تجدد من السنة ليبلغوا ذلك إلى الأمة أهم وأكثر نفعًا للأمة من تحصيل نعم الصدقة، ونحو ذلك.

ومنها: أن ذهاب أولئك الأقرباء والخواص إلى الأطراف يعرى به جانب رسول الله (ص) ويبقى بعدهم بين كثير من المنافقين الذين مردوا على النفاق من أهل الضغائن المتربصين بالإيمان وأهله الدوائر.

ومن عرف انه قد فر جمهور الصحابة عن رسول الله (ص) ولم يثبت معه إلا نفر قليل فى بعض المواطن، ثم فى حنين ولوا عنه مدبرين، ولم تمنعهم بيعة الحديبية عن الفرار، ولم يثبت معه إلا اناس من اهل بيته فقط، كما ثبت فى شعر العباس وغيره، فهل يكون من الصواب تفريق المحبين المخلصين الناصحين المستميتين فى نصر الله ورسوله فى السباسب والقفار وأطراف البلاد لجمع الزكوات، أو الجزية إن ذلك لبعيد عن الصواب.

وبهذا يظهر جليًا بطلان ما استنتجه المصنف رحمه الله، وبنى عليه ما بنى، وفيه

كفاية لمن يفهم، وينصف إن شاء الله تعالى.

وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من احاديث الفتن وما فى معناها مما فيه نحو بنى مروان على المنبر الشريف نزو القردة، أو اتخاذهم مال الله دولا وعباد الله خولا لله، وقلبهم الدين ظهرًا لبطن.

فإن كان فى ذكر انبياء بنى إسرائيل هلاك اليهود، وتحريب المسجد ترشيح وتأسيس لملك بخت نصر.

او كان فى ذكر رسول الله (ص) بنى قنطوراء تمهيد لاستيلائهم على الأمة وإذلالها.

او كان فى ذكره عليه وآله الصلاة والسلام المسيح الدجّال إغراء للأمة على الاستخذاء له، والتسليم إليه، ووضع زمامها بين يديه إن كان شىء مما ذكرناه كذلك.

فإن ما جاء من ذكر بنى امية وعسفهم واستبدادهم وظلمهم وما صح من اتباع الأمة سنن من قبلها تمهيد لملك بنى امية، واستداد كل جبار وظالم، وكون هذا من اكبر الباطل بين، فكذلك ما توهمه المصنف.

ومن الحق الذى لا شك فيه أن إخبار النبى (ص) بوقوع أمر يفيد انه سيقع حتمًا بدون خلف، وفق ما اخبروا ولكن مجرد الخبر لا يفيد أن المخبر عنه حق او باطل، نعم إن اقتران الإخبار بالغبطة با لمخبر به، والتحبيذ له، والمدح له، أو الأمر به، فذلك الأمر حق، والسعيد من وفق له.

وإن اقترن به ضد ما ذكر فهو ضلال والشقى من علق به.

وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من تولية ابى بكر رجالا من بنى امية اعمالا فيمكن حمل شىء منها على ما تقدم بيانه فى تولية رسول الله (ص) لمن ولاه من المغموصين، ويجوز أن يكون لشىء منها مغزى سياسى، وتولية عمر يتراءى أن جانب السياسة فى بعضها اظهر والله اعلم.

واما عدم توليتها اهل بيت رسول الله (ص) الأعمال فلا اعلم له معنى دينيًا، وفوق كل ذى علم عليم.

وما رواه عن ابن عمر انه قال للحسين بن على: والله لا يليها احد منكم. الخ، إن صح فهو غلط واضح، ومثله ما روى عن ابن عباس فى هذا المعنى، ويقرب كل القرب أن ذلك كذب موضوع، لأنه يبعد أن ينسى ترجمان القرآن قوله تعالى: **﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيماً﴾** النساء: ٥٤.

ولقد كان نبيا محمد (ص) مع كونه نبيا عبداً خالصا ـ يحكم بين الناس بما أنزل الله، ويجبى الأموال ويقسمها كما أمر الله، ويقود الجيوش محاربا وغازيا لمن حاد الله، ولو كان لما زعموه عن ابن عمر وابن عباس اصل لما كان نبيا (ص) إلا كبعض أنبياء بنى إسرائيل الذين اقتصروا على إرشاد ملوكهم، ونصحهم، وليس لهم من الأمر شيىء، وهيهات هيهات.

ولقد كان على عليه السلام صنو النبى (ص) واخوه مع كونه افضل من غيره قد لابس ما لابس من امور الخلافة، ولم يك ذلك لهوانه على الله تعالى حاشا وكلا، وهكذا الأمام المنتظر عليه السلام، ولكنها الغفلة واستشعار عظمة من نسب إليه القول تحمل

المرء على قبول الكلام المتهافت الباطل.

وما ذيل به المصنف ما نقله عن ابن عمر وابن عباس، وهو لفظ:(وذلك من فقههما) كلمة فيها جفاء شديد، وهل يظن عالم عاقل مصنف أن الحسين ابن رسول الله، الذى خرج فى سبيل الله مؤديا للواجب العينى عليه، قليل الفقه فيما استشهد فى سبيله حاشا وكلا.

ولعل المصنف وجد تلك الكلمة العوراء فيما نقل عنه من الكتب، فكتبها غافلا عن مدلولها، كما فهم من خطبة الحسن بعد الصلح خلاف ما تدل عليه، ومثله فهمه من على الصدقات الإشارة إلى الإمامة العظمى، وكل ذلك خطأ باطل كما تقدم بيانه.

وما ذكره من ان سر خروج الخلافة عن أهل البيت هو لئلا يقال: ملك متوارث، وما فى معنى ذلك فهو مما لا قيمة له، لأن الخلافة مقام ومنصب دينى، ولن يتم ويحصل منه الغرض إلا إذا قام به أخص الناس بالدين، وأولاهم بالمسلمين.

ولو كان لمثل تلك الترخصات والتفوهات حكم لما أوجب الله الصلاة على النبى وآل بيته (ص)، ولما جعل لهم الخمس، ولما افترض على الأمة حبهم فالجواب عن هذه الأمور هو الجواب عن الخلافة.

ومن المضحكات قوله: إن الخلافة صارت إلى بنى العباس لضعف الدين لعدم استحقاقهم لأنه يفيد أن الضعف فى الدين إنما حصل حينئذ مع أنه لم يزل وما كان سبب حصولها لنبى امية شرا مما هو سبب حصولها لنبى العباس بل هذا ابن ذاك، والشر لا ينبت إلا شراً، فالضعف قديم، والماء صرف من الأعالى والداء مزمن جداً.

وما نقله المصنف عن البخاري عن الزهرى من إشارة العباس على على فى ايام مرض النبى (ص) بان يسأله عن خليفته، واباء على ذلك فغير صحيح عندنا لمعارضته لما هو اقوى منه مما لا تحوم التهم ولا الشكوك حوله مما يقوله على، ويكرره علانية، فى خطبه وكلامه، ومجموعه يوجب القطع بصدوره منه.

وهذا المصنف نفسه قد نقل عن البخاري وغيره عن الزهرى وغيره قول على للعباس فى محاورتهما فى أمر الخلافة: وه يطمع فيها غيرنا، او ما معناه هذا على اختلاف الروايات، وليس بين صدور المقالة الأولى، وبين صدور الثانية، إلا ساعات غير كثيرة لو صح قولهم، ومن ذلك يظهر جليا للمتأمل المنصف ان بعض تلك الروايات كذب مخترع، وكذلك كل ما فى معناها، فإنما أحدثته السياسة، وصححته القوة، وروجه سماسرتها من متاجرى علماء السوء، وسهل ذلك الإرسال والتجويد بطى اسماء رجال بعض سلسلة الإسناد إذا كانوا من طبقة واحدة فى المعاصرة، وكل هذا كان فى تلك الأيام مشهورًا.

والزهرى من اكبر رواة الصحيح، وقد كان من صنائع بنى مروان، وعمالهم، بل هو من المنقطعين إليهم، ومن التقربين إلى أهل الدنيا فلا غرو إن روى ما يروج به أمرهم تزلفا إليهم، أو دفعا لشرورهم عنه، أو إبعاداً لشكوكهم فيه.

جاء فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾ هود: ١١٣، قال: قال الحسن رحمه الله: جعل الله الدين بين لاءين﴿**ولا تطغوا.. ولا تركنوا**﴾.

ولما خالط الزهرى السلاطين كتب له اخ فى الدين: عافانا الله وإياك ابا بكر من الفتن، فقد اصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعوا لك الله، ويرحمك، اصبحت شيخا

كبيرًا قد اثقلت نعم الله بما فهمك من كتابه، وعلمك من سنة نبيه، وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء[١].

قال الله سبحانه: «لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ» [آل عمران: ١٨٧] واعلم ان أيسر ما ارتكبت، واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يؤد حقا، ولم يترك باطلاً حين ادناك، اتخذوك قطبًا تدور عليك رحا باطلهم، وجسرًا يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلمًا يصعدون فيك إلى ظلالهم، ويدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال، إلى آخر ما قال. انتهى.

قال المحدثون: إن السند ولو كان كالشمس وضوحًا لا يفيد صحة المتن المنكر.

قال الحافظ بن عبدالبر فى الاتيعاب عند ذكره احاديث مما رواه البخارى وغيره، وصححها غير واحد، قال: لا تصح لعدم صحة المعنى، اى ولا عبرة حينئذ بصحة السند.

ونقل ابن السبكى فى الطبقات أن محمد بن حنبل اوصى ان يضرب على حديث ابى هريرة الذى فيه الإشارة إلى امر الناس باعتزال قريش، مع ان رجاله ثقاة، وما ذاك إلاّ لمخالفته المشهور من الأحاديث.

قال السيد محمد رشيد رضا: إننى أعلم انه ليس كل ما صحح بعض المحدثين سنده يكون صحيحًا فى نفسه، او متفقا على تعديل رجاله، فكاين من رواية صحح بعضهم سندها، وقال بعضهم بوضعها لعلة فى متنها، او سندها، والجرح مقدم على ---

---

(١) انظر تاريخ الزهرى فى تذكرة الحفاظ للذهبى وكتب الرجال. وانظر كتب التاريخ فترة عبدالملك بن مروان.

التعديل، بشرطه، وقد ذكروا من علامات الوضع ما ردوا به بعض الروايات الصحيحة الإسناد. انتهى.

وفى كتابنا العتب الجميل فى هذا المعنى ما يفيد المستفيد فليراجع ذلك من احب[٢].

وما ذكره المصنف من قول العباس لعلى -عليه السلام-: امدد يدك ابايعك، وامتناع على عليه السلام- فقد اختلف فى أيهما كان رايه الصواب، والذى يظهر لنا ان كليهما مصيبًا من الجهة التى اعتمدها، ولكن عليًا - عليه السلام- كان أتم إصابة، وابعد نظرًا، وأحكم رأيًا، فإن العباس بنى رايه على حسن ظنه بالأمة، التى لم تر الخير إلاّ بواسطة رسول الله (ص) فلم يجوز منها أن تعرض عن اهل بيت نبيها، سيما صنوه واخيه، وافضل من تركه بعده، واكبر مجاهد بين يديه.

وعلى اخترق نظره الحجب فعرف جلية الأمر، وحقيقته، إما بفراسة صادقة، أو بإخبار أخيه له بذلك عن ربه جلّ جلاله، فعلم ما تكنه شجف الغيوب، وضمائر القلوب، فحفظ بما صنعه الإسلام عن الزوال جزاء الله عن دينه وعن نبيه وعن المسلمين خير الجزاء، وما كان فعله ذلك أول خدمة ضحى فيها بكل نفيس غال.

وما رواه المصنف من قيام ابى سفيان على قبر حمزة وخطابه له، وقد تقدم نقله فالرواية الأولى لعلها كانت بالمعنى، تلطيفا للشناعة.

والرواية الثانية هى الصواب إن شاء الله تعالى، وفيها انه ركل قبر حمزة برجله اقتداء بإبليس فى ركله جسد آدم عليه السلام.

---

(٢) تم طبع الكتاب بالقاهرة وقد قمنا بالتعليق عليه.

ونرى أن ابا سفيان أراد بمخاطبته حمزة بقوله: إن الأمر الذى كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم مقابلة خطاب رسول الله (ص) لأصحاب قليب بدر بقوله:«**فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ**» [الأعراف: ٤٤] وهذا غير كبير ممن وقف على حمزة هذا مقتولا ممثلا به، وقد اكلت زوجته هند كبده، وقطعت آرابه، ومذاكيره فجعلتها حليا لها فضرب بزج رمحه شدق حمزة، وقال: ذق عقق، ذق عقق، ذق عقق، ومن القائل لعثمان بن عفان فيما رواه الحافظ بنعبد البر حين استخلف على الناس عثمان: أدرها كالكرة، واجعل أوتادها بنى أمية، فإنما هو الملك، ولا أدى ما جنة، ولا نار.

وقد تقدم نقل المصنف لهذا المقالة.

وقد انتهينا من كتابة ما رأينا فى بيانه إفادة، وبقيت فى زوايا كلام المصنف كلام المصنف رحمه الله بقية لا حاجة بنا للكلام عليها مما أطال به فمنها ما هو بديهى البطلان متهافت، ومنها ما للكلام عليه محل آخر، ومنها ما هو صواب، وصحيح ثابت، وهو الموافق لما حققناه.

وتم تسويد هذه الوريقات مع استعجال، فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله فما كان حقا وصوابا فمن الله وحده، وله الحمد والمنة وما كان باطلا وخطأفمنى ومن الشيطان، واستغفر الله للعمد و الخطأ سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وكان الفراغ من تسويدها ظهر يوم الثلاثاء لثمان خلت من شهر صفر عام ١٣٣٧هـ وتم تبييضه ضحى يوم الأثنين لثلاث بقين من شهر رجب عام ١٣٤٢هـ فى سنغافورا والحمد لله أولا وآخرا، وصلاته وسلامه على محمد وآله، ومن تبعهم بإحسان، وكتبه بيده العبد محمد ابن عقيل بن يحيى عفا الله عنهم آمين.

فهرس موضوعات الكتاب

مطابع سجل العرب
٩ شارع عماد الدين - القاهرة - ج.م.ع
ت: ٥٩٣٢٧٠٦ ص.ب. ١٣١٥ العتبة